

سلسلة الفتوحات العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

(١٣)

المحفوظات على كتاب كشف الشبهات

الطبعة الأولى

شعبان ١٤٢٦هـ - سبتمبر ٢٠٠٥م

رقم الإيداع

١٥٦٣٢ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي

٨-٦٦-٥٢٧٣-٩٧٧

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين، جعل الذكر جلاء للقلوب،
تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتتقاد به بعد
المعاندة.

والصلاة والسلام على حبيبك المصطفى، ورسولك
المجتبى، سيدنا ومولانا محمد.. اللهم صلّ وسلم وبارك
عليه وآله، وارضى اللهم عن الهادين المهديين من
أصحابه، وأذقنا حلاوة خالص حبك لنا يا رب العالمين،
وحقيقة حبنا لجنايبك العلى.

وبعد:

يظن بعض أتباع محمد بن عبد الوهاب أنه كان وحيد
دهره فى العلم، وأن البلاد الإسلامية مما لم يدخل فى
دعوته كانت بلاد شرك وكفر، وأن علماء تلك البلاد جهلة
لا يعرفون من الدين شيئاً، ونحو هذا من اعتقادات الأتباع
الجائرة فى بلاد المسلمين وعلماء المسلمين أيام ابن عبد
الوهاب. وللأسف أن هذا الأصل فى تكفير المسلمين
واعتبار ديارهم ديار كفر، وأن علماءهم كفار قد وجدناه

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	٤
الملحوظات على كتاب كشف الشبهات	١١
الغلو فى الصالحين	١٢
كفار قريش أكثر توحيداً من المسلمين	٢١
تكفير المعاصرين لابن عبد الوهاب	٤٠
محاورة مع الوهابية	٥٣
إنكار الشفاعة	٥٦
الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض	٧١
مساواة المسلمين بالمرتدين	٧٦
تسييس الدين	٧٩
إنكار الاستغاثة	٨٦
الخاتمة	٩٢

في كلام ابن عبد الوهاب نفسه - كما سيأتي - .

ومحمد بن عبد الوهاب ليس بدعاً، فمثلما غلا أتباع حسن البنا فيه، وكذا فعل مقلدو الشوكاني والمودودي وغيرهم؛ فقد ظهر في زمن ابن عبد الوهاب وبعده من أتباعه من يغالي فيه غلواً كبيراً، ويتعصب لكل ما كتبه في رسائله وفتاواه؛ بل وحكمه على الأحاديث، وآرائه في الأمم والدول والأفراد وغير ذلك.

ومن نماذج الغلو في ابن عبد الوهاب قول بعضهم فيه: (العالم الرباني والصديق الثاني مجدد الدعوة الإسلامية.. أوحى العلماء) الدرر السنية (٢٩/١)، وقال ابن عبيد في تذكرة أولى النهى والعرفان (١٧٣/١): (الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي افتخرت به أمة محمد على سائر الأمم!) أه، وأطلق عليه المؤلف لقب (شيخ الوجود)!! في شعر له في التذكرة (٣٣/١)، وهي كلمة عظيمة لو أطلقها أحد في النبي ﷺ لأنكر عليه مقلدو ابن عبد الوهاب وربما كفروه.

ثم غلا هؤلاء حتى تركوا جزءاً كبيراً من دعوة محمد ابن عبد الوهاب، التي كانت في ذم (الغلو في الصالحين)،

فالغلو في الصالحين من المحاور الرئيسة التي كان ينقدها، فأصبحت هذه المسألة المحورية من أساسيات العقيدة عند الغلاة من أتباع ابن عبد الوهاب.

بل معظم (المسائل الجاهلية) التي كتب فيها ابن عبد الوهاب كتاباً يجب أن يراجع الغلاة من أتباعه أنفسهم فيها وسيجدون أن معظمها متحققة فيهم للأسف.

بل إن الأتباع - أتباع ابن عبد الوهاب - أصبحوا في ردودهم على خصومه يعتبرون الرد عليه رداً على الإسلام نفسه، بينما هجوه على علماء المسلمين وبلاد المسلمين واتهامها بالشرك الأكبر لا يعد عندهم اعتداء، وهذا لب الغلو.

لذلك فنحن نوجه خطابنا للغلاة من أتباع ابن عبد الوهاب أن يعيدوا النظر في أقواله، انطلاقاً من عدة أمور:

الأمر الأول: أن نعلم علم اليقين أن أي منجز بشري - فعلاً أو إنتاجاً فكرياً - يحتاج من وقت لآخر للمراجعة والنقد، لتدعيم الصواب وتجنب الأخطاء، ولا عيب في هذا لا شرعاً ولا عقلاً، بل هذه علامة الثقة في النفس،

وأن الفكرة الحقّة هي المقصود بالرعاية وليس الأشخاص.

الأمر الثاني: أن بعض الأخطاء التي وقع فيها ابن عبد الوهاب وكثير من أتباعه وخاصة في التكفير؛ قد أوقعت كثيراً من طلبة العلم فيها تقليداً أو مغالاة، داخل العالم الإسلامي وخارجه، وقد تجلت في أحداث العنف الأخيرة، فالأدلة في التكفير هي الأدلة، والاستدلال هو الاستدلال، والشعارات هي الشعارات.

الأمر الثالث: إجماع كل أتباع ابن عبد الوهاب تقريباً عن بيان تلك الأخطاء؛ رغم الحاجة الماسة للمراجعة، يجعل المراجعة على القادر (فرض عين)، وهو ما دفعنا لكتابة هذه الدراسة النقدية لكتاب (كشف الشبهات) لابن عبد الوهاب.

الأمر الرابع: من حق كل طالب علم وكل عالم في العالم الإسلامي أن يطرح ما يراه مخرجاً من دوامة العنف والتكفير، ذاكراً للأسباب الحقيقية، مجتنباً سبيل الدعاية التي لن تضر إلا الوطن الإسلامي وأهله على المدى الطويل، وإن ظهر لنا فيها مصلحة قريبة، فمن

حقنا أن نحمل ديننا ووطننا من التلوث بالتكفير الظالم أو الدماء المعصومة، وبهذا نرفع من سمعة ديننا وأنفسنا ووطننا؛ بأننا لا نتبع من البشر إلا سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وأننا لانتمحور إلا حول قال الله وقال رسوله، وأن نصدق هذا بالعمل، وأن حيناً لأى عالم من العلماء أو اتباعنا له يجب أن يكون محاطاً بسياح من الشريعة، يتمثل فيما يلي:

- ١- لا نجعله نبياً معصوماً.
- ٢- بل نخضع أقواله لأحكام الشريعة.
- ٣- ولا نجعله فوق الشرع.
- ٤- بل هو وكل العلماء محكومون بالشرع.
- ٥- كل يؤخذ من قوله ويرد.
- ٦- وكل يستدل لقوله لا بقوله.
- ٧- وكل لم ينزل من السماء.
- ٨- وكل مأمور بالرجوع إلى الأدلة الشرعية لا إلى أقوال الرجال..

وهذه هي السلفية الحقيقية.. وهذه القواعد العظيمة

ولا يجوز أبداً أن يقلد ابن عبد الوهاب فيما أخطأ فيه، شأنه شأن غيره من البشر، من علماء ودعاة وطلبة علم، وإذا كان أتباعه يقبلون تخطئة أبى حنيفة والشافعي وأمثالهم، بل نرى بعض المتعصبين لابن عبد الوهاب يقبل بكل سهولة تخطئة كبار الصحابة كعمر وأبى ذر رضى الله عنهما، بل وصل الأمر إلى تخطئة - باب مدينة علم رسول الله ﷺ - أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، فى حين أنهم لا يقبلون تخطئة ابن عبد الوهاب، وهذا من الغلو الذى ننكره بحق قولاً وفعلاً، لأن ابن عبد الوهاب أقل من هؤلاء علماء وأثراً بإجماع المنصفين من أهل العلم.

وهذا السلوك من المتعصبين والمغالين هو السبب فيما وصلت إليه الأمة من هوان، فنسأل الله أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات

بالطريقة العزمية

تطبق على الجميع، ويجب أن يحترمها ويلتزم بها الجميع، وهذه القواعد لا يكفى فيها الكلام.

وقبل أن نبدأ فى إظهار الملحوظات على كتاب كشف الشبهات، نسأل عدة أسئلة هى:

- هل بالغ ابن عبد الوهاب فى التحذير من الشرك حتى أدخل فى الشرك ما ليس شركاً؟ وعلى هذا تجوز فى إطلاق الشرك على المسلمين؟.

- هل ثبت عليه أنه يغلو فى التكفير أم لا؟ وما درجة هذا الغلو؟.

- هل وصم المخالفين له من خاصة أهل السنة وعامتهم، بل الحنابلة وعامتهم - فضلاً عن غيرهم - بالكفر الأكبر المخرج من الملة أم لا؟.

- ثم إن ثبت فهل يجوز لنا اليوم أن نقره على ذلك أم لا؟.. إلخ.

ومن هنا سنأخذ فى سرد الملحوظات مباشرة، حتى ما دق منها، لارتباط الدقيق بالجميل، والتعمية بالتصريح، وارتباط ما عممه فى كشف الشبهات بما صرح به فى كتبه ورسائله الأخرى.

الملحوظات على كتاب كشف الشبهات

هذه الملحوظات سنذكرها بالترتيب، وسنذكر كلام ابن عبد الوهاب بين قوسين، ثم نجيب على ما نراه من خطأ وتجاوز، وخاصة مما له صلة بالتكفير، علماً بأن الكتاب طبع عدة مرات بتحقيق بعض من ينتسب إلى العلم ولم ينبهوا على خطأ واحد من هذه الأخطاء الآتية، وهذا منهم إما تواطؤ على الخطأ وإما عدم إدراك للخطأ نفسه، وكلا الأمرين أحلاهما مر، وهذا التواطؤ الظاهر في كل سلفي يكتب عن محمد بن عبد الوهاب هو من أكبر الأمور التي شجعتنا على كتابة هذا الكتاب، ولو قام أحد المحققين بالتنبيه على بعض الملحوظات الرئيسية لما كتبنا هذا الكتاب ولا هذه التعقيبات على كشف الشبهات ولا غيرها.

والطبعة التي اعتمدنا عليها لمطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣ بتصحیح وتعليق محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة.

والمحوظات مرتبة على كشف الشبهات - وقد يتقدم الأقل أهمية - أبرزها ما يلي:

الغلو فى الصالحين

الملحوظة الأولى:

يقول ابن عبد الوهاب فى الاستهلال ص٦: (اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا فى الصالحين: ودأ وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً...).

نقول: هذا الكلام أوله صحيح، لكن آخره فيه نظر وقصور شديد وتقعيد للتكفير؛ فإن الله أرسل نوحاً إلى قومه ليدعوهم لعبادة الله وترك الشرك؛ فقد كانوا يعبدون هذه الأصنام؛ وليس فعلهم مجرد (غلو فى الصالحين)؛ فهذه اللفظة واسعة وتحتمل - غالباً - الخطأ والبدعة عند إطلاقها، وقد يصل الغلو، إلى الكفر وهو النادر، فتقبيل اليد قد يعتبر من الغلو، والتبرك بالصالحين قد يعتبر غلواً.. لكن هذا ونحوه يعد عند قصار النظر من الأخطاء أو البدع وليست شركاً، ويعد عند الصالحين أدباً وحباً، وإن تجوزنا فى إطلاق الشرك على هذه الأفعال فهو شرك أصغر؛ وليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وابن عبد الوهاب قال الكلام السابق ليدل أن دعوته هي امتداد لدعوة الرسل؛ الذين بعثوا أو كأنهم لم يبعثوا إلا إلى قوم يغلون في الصالحين فقط! أو أن أكبر أخطائهم الغلو في الصالحين! وهذا غير صحيح فقد كانوا يشركون بالله ويعبدون الأصنام وفي هذا كفاية، لكن لأن خصوم ابن عبد الوهاب كانوا يردون عليه بأن هؤلاء الذين تقاتلهم وتكفرهم أناس مسلمون؛ وقد يوجد عند عوامهم أو علمائهم غلو في الصالحين لكن هذا لا يبرر لك تكفيرهم ولا قتالهم، لما كانت هذه حجة خصومه أفرط في استخدام هذا المعنى وكرره كثيراً في كتبه.

يجب أن يعرف القارئ الكريم أننا ننكر البدع والخرافات والأخطاء والممارسات التي يفعلها بعض المسلمين.

ولكن إنكارنا لهذه البدع والخرافات وربما الشركيات في بعضها لا يجعلنا نحكم على مرتكبها بالشرك والخروج من ملة الإسلام سواء كان جاهلاً أو عالماً، لأن الجاهل يمنعنا جهله من تكفيره. والعالم يمنعنا تأويله من تكفيره أيضاً.

نعم قد يقال فلان ضال، فلان مبتدع، فلان منحرف... فهذه التهمة على ما فيها من تعميم ظالم، إلا أن خطرها يسير، إنما أن نتجاوز ونقول: فلان كافر كفراً أكبر، يخرج عن ملة الإسلام! فهذه عظمة من العظام التي تساهل فيها ابن عبد الوهاب وأتباعه، ويترتب عليها أحكام ومظالم؛ فلا يجوز أن نتهم أحداً بالكفر إلا بدليل ظاهر لنا فيه من الله برهان؛ خاصة وأن ابن عبد الوهاب يريد بإطلاق الكفر ذلك (الكفر الأكبر المخرج من الملة)!!- كما سيأتي.-

نعود ونقول: كان ابن عبد الوهاب يواجه من خصومه، بأن من تقاتلهم وتكفرهم مسلمون يصلون ويصومون ويحجون، فكان الرد منه على هذه الشبهة- وهي شبهة قوية- حاضرة في ذهنه عند تأليفه الكتب أو كتابته الرسائل؛ فبالغ في تأكيده من باب ردة الفعل، كما هو ظاهر في العبارة السابقة، وتكرر عرضه لمحاسن كفار قریش وأصحاب مسيلمة^(١) والمنافقين في عهد

(١) مسيلمة بن حبيب الحنفي المتنبى الكذاب، ادعى النبوة وانفصل بنجد عن جسد الدولة الإسلامية، فقاتله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتم

النبوة^(١).

فتكرر من ابن عبد الوهاب تفضيلهم على المسلمين في عصره من علماء وعامة! حتى يبرهن أنه لم يقاتل إلا أناساً أقل فضلاً من كفار قريش ومن المنافقين ومن أصحاب مسيلمة! وهذا خطأ بلا شك، مع ما في مقارناته التي يكتبها بين هؤلاء وهؤلاء من أقيسه تهمل فوارق كبيرة، فلذلك تجد استهلاله السابق ينبئ عن قلقه من

المسلمين قتله وإعادة نجد لحظيرة الدولة الإسلامية، وهناك فرق بين الردة الجماعية التي تسلتزم انفصلاً عن الدولة المركزية فهذا يجب قتاله بالإجماع سواء كان كافراً مرتدّاً أو مسلماً باغياً، وأما الردة الفردية ففيها تفصيل واختلاف، هل يسجن أو يقتل أو يستتاب ثلاثة أيام أو يهمل كما أهمل النبي ﷺ الذين كفروا بعد إيمانهم في غزوة تبوك، وأنزل الله فيهم ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ ومع ذلك لم يقتلهم النبي ﷺ لأن الردة الفردية التي لا تسلتزم انفصلاً عن الأمة وتحيزاً بمكان أن جزائهم اللوم والإهمال، كما لام القرآن الكريم مرتدي تبوك وأهملهم النبي ﷺ، مع أنهم بنص القرآن استهزوا بالله وآياته وكتبه ورسله، وهذه من أبلغ الردة، لكنها ردة فردية جزاؤها الإهمال لا القتال.

(١) المنافقون في عهد النبوة لم يقتلهم النبي ﷺ، وإنما كان لهم سائر حقوق الصحابة، من فئ وغزو وتزواج وتوارث ودفن في مقابر المسلمين.. إلخ.

الشبهة القوية التي كان الخصوم يواجهونه بها.

الملاحظة الثانية:

وقوله أيضاً في استهلاله ص ٦-٧: (وأخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..!).

نقول: هكذا يرسم ابن عبد الوهاب صورة جميلة وغير صحيحة عن كفار قريش ليبنى على ذلك تكفير مسلمين (يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..!!)، وهذا قياس مع الفارق الكبير.

ثم ذكر ابن عبد الوهاب الصفة التي يرى أنه من أجلها قاتل الرسول ﷺ الكفار وقاتل ابن عبد الوهاب المسلمين فقال ص ٧: (لكنهم - يعني كفار قريش - يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله!) يعني فجاز قتالهم ويجوز لنا نحن قتالهم للسبب نفسه!^(١).

(١) وهذه من الدقائق التي لا ينتبه لها من يقرأ العبارة وهو لا يعرف الدلالات الخفية لمتل هذه التنظيرات التي تهيب القارئ العادي لقبول تكفير

سبحان الله، كفار قريش الذين لا يقولون: (لا إله إلا

المسلمين، ويمثل هذه النظريات أفتع ابن عبد الوهاب جموعاً ممن لا علم لهم بخطورة التكفير ولا نظر لهم في العلوم، فاجتاحوا الجزيرة تكفيراً وتقتيلاً، قد يدافع بعض أتباع ابن عبد الوهاب فيقول: لو لم يكفرهم الشيخ محمد ويقائلهم لما انتشر الإسلام الصحيح! ولبقينا في البدع والخرافات إلى زماننا هذا!... وهذا افتراض غيبي، وقد يعارض هذا القول آخر فيقول: إن الإسلام انتشر في أغلب بلاد المسلمين بلا سيف، فمعظم أفريقيا ومعظم آسيا والإسلام في الغرب والصين كان بلا سيف، فلو أن ابن عبد الوهاب راسل العلماء والأعيان لربما اهتموا للإيمان الصحيح بلا ضرر، ولو تأخرت استجابتهم، هذا إن سلمنا بأن ما يدعو إليه خال من الشوائب، وأن ما عند علماء عصره باطل كله ليس فيه اختلاف ولا شبهة، ربما لو تم هذا لسلمت الوهابية وأصحابها من تهمتين كبيرتين لهما ما يصدقهما قولاً وفعلاً وهما (التكفير والقتال)، جلبتا الضرر على المسلمين قبل غيرهم، ضرراً لا يزيله ماء البحار، بل قد يعرض غير المسلمين اليوم وقبل اليوم عن الإيمان ويزين لهم الشيطان الدفاع عن الباطل، كل هذا من باب الخصومة للإسلام والمسلمين، لأنهم في رأيه يكفرون ويقتلون بلا بغى ولا قطع طريق ولا ردة صريحة، وهكذا كل قد يفترض، فالافتراضات لا مكان لها عند مناقشة الأمر شرعاً. وكذلك إذا كان الرجل مسلماً لا يجوز تكفيره وقتله ليهدي غيره خوفاً ورغباً وإكراهاً: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾!؟

الله) ولا يرضون قولها، ولا يؤمنون بيوم القيامة ولا البعث ولا جنة ولا نار، ولا يؤمنون بنبي، ويعبدون الأصنام ويقتلون ويظلمون ويشربون الخمر ويزنون ويأكلون الربا ويرتكبون المحرمات مثل المسلمين المصلين الصائمين الحاجين المزكين المتصدقين المجتنبين للمحرمات والفاعلين مكارم الأخلاق.. ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: ٣٥-٣٦)؟! لا، ليسوا سواء، المسلمون ليسوا كالكفار حتى وإن تأول علماءهم وجهل عوامهم، فالتأويل والجهل بابان واسعان، ومانعان كبيران من موانع التكفير، لكن على كل حال لا تجوز المساواة بين من يقوم بأركان الإسلام مع من ينكرها.

ولا يستوى من يؤمن بالنبي ﷺ نبياً ورسوله ومن يكذبه ويظنه ساحراً أو كاهناً.

ولا يستوى من يتوسل بالنبي ﷺ ويتبرك بالصالحين - وإن أخطأ - مع من يرمي النبي ﷺ ويقتل الصالحين.

لا يستوى من يؤمن باليوم الآخر والجنة والنار مع من يقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (المؤمنون:

(٣٧).

لا يستوى من قال: (لا إله إلا الله) مع من قال: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ (ص:٥).

لا، لا يستوى من آمن ومن كفر.. من صدق الرسل ومن كذبهم.. من آمن بالبعث ومن كفر به..

لا يستوى من طلب شفاعاة الأنبياء والصالحين مع من يطلب شفاعاة الجماد.

لا يستوى من يطلب شفاعاة الأنبياء وهو يعرف أنهم عبيد الله مع من يطلب شفاعاة الأصنام ويجعلهم مشاركين لله فى الألوهية..

لا أيها المخدوعين بفكر ابن عبد الوهاب، هناك فرق كبير بين هؤلاء وهؤلاء، ونقول للوهابية المختلفين معنا فى هذه المسألة: معظم علماء المسلمين فى عهد ابن عبد الوهاب وفى أيامنا هذه يقولون بجواز التبرك بالصالحين^(١) والتوسل بهم، فهل يحق لكم اليوم تكفير

(١) بل كان كبار علماء السنة كأحمد بن حنبل والذهبي وابن حجر وغيرهم يرون التبرك، راجع على سبيل المثال استدلالات الحافظ ابن حجر على

جميع هؤلاء؟! أم تخطئتم فقط؟! بل ليت التخطئة بدليل وبرهان تسلم لكم.

وإن قلتم: لا، نحن لا نكفرهم، رددتم على شيخكم محمد ابن عبد الوهاب تكفيره لهم، لأنه كان يكفر علماء عوام مثل علماء زماننا وعوامهم تماماً، ولن يخرج مقلدو ابن عبد الوهاب من هذه الالتزامات، وإن تكلفوا التفريق بين المسلمين (من العلماء والعوام) الذين كانوا فى عهد شيخهم، وبين المسلمين (من العلماء والعوام) اليوم؛ كان التفريق بين (كفار قریش) وبين هؤلاء (العلماء والعوام) أكثر وضوحاً وظهوراً!.

نعم، لأن كل ما أنكره ابن عبد الوهاب على علماء عصره من التوسل بالصالحين أو التبرك بهم أو الاستشفاع بالنبي ﷺ أو زيارة القبور أو ترك الإنكار

جواز التبرك فى (فتح الباري ٣/١٤٤، ٢٥٤، ٣٦٧) طبعة مفتى الوهابية ابن باز، وأما الذهبى فأراه كثيرة (راجع على سبيل المثال: ترجمة معروف الكرخي فى النبلاء)، وأما أحمد بن حنبل فالحنايلة يعترفون بأنه يرى التبرك والتمسح برمانة المنبر النبوى وبالروضة الشريفة (راجع العلل والطبقات).

العلنى على العوام والحكام.. إلخ، ما زال إلى اليوم فى علماء مصر والشام والحجاز واليمن والعراق والمغرب .. فضلاً عن عوامهم.

فأنتم إذا كفرتم هؤلاء لزمكم الرد على علماء السلفية فى المملكة الذين لا يكفرونهم، فإذا بلغ العلماء ردمكم ولم يكفروهم لزمكم تكفير علماء السلفية، لأن من قواعد الدعوة السلفية فى كتابات كثير من علمائها أن (من لم يكفر الكافر أو شك فى كفره فهو كافر)!(١).

كفار قريش أكثر توحيداً من المسلمين

الملحوظة الثالثة:

يقول محمد بن عبد الوهاب ص ٧: (وإلا فهؤلاء المشركون- يعنى كفار قريش- يشهدون أن الله هو الخالق وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا

(١) وهذا ما حصل فى مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله)، وهى قاعدة قابلة لتكفير العلماء المقربين للحوار الوطنى فى المملكة، والمسيرة ستتواصل، كل هذا لأن المنبع لم يتم سده، والمنهج لم تسبق مراجعته.

يحي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فىهن والأرض ومن فيها: كلهم عبده وتحت تصرفه وقهره..) ثم سرد الآيات فى ذلك.

نقول : هنا أيضا رسم صورة زاهية للمشركين؛ ولم يذكر تكذيبهم بالبعث، ولا اعتقادهم أن الذي يهلكهم هو الدهر، ولا اعتقادهم أنهم يمطرون بنوء كذا وكذا، ولا أكلهم الربا، وقتلهم النفس، ودفنهم البنات ولا غير ذلك من المظالم والجرائم، ولا وصفهم للنبي ﷺ بأفبح الأوصاف وتكذيبهم المسلمين وقتلهم المستضعفين.

فابن عبد الوهاب أخذ الآيات التى تدل على إيمانهم على وجه الجملة بأن الله هو الخالق الرازق..

مع أن هذه الاعترافات التى اعترف بها المشركون؛ قد أجاب عنها بعض العلماء؛ وذكروا أن المشركين إنما اعترفوا بها من باب (الإفحام والانقطاع)، وليس من باب الإقتناع، ولو كانوا صادقين فى اعترافهم؛ لنتقوا بالشهادتين، وأتوا بلوازم هذا الاعتراف من العبادات الظاهرة؛ فلذلك يأمر الله نبيه ﷺ أن يذكرهم بلوازم هذا الاعتراف كما فى قوله تعالى: ﴿فقل: أفلا تتقون﴾ ﴿قل

أفلا تذكرون؟!..إلخ.

فكأن الله عز وجل يوبخهم بأنهم كاذبون، وأنهم لا يؤمنون بالله عز وجل خالفاً ورازقاً، كما لا يستطيعون في الوقت نفسه أن يقولوا أن الأصنام هي التي خلقت السماوات والأرض!! فبقوا بين الاعتراف بالقول (انقطاعاً) وممارسة ما يخالفه (واقعاً)، وهذا الجواب الذي أجاب به بعض العلماء إن كان ضعيفاً فأضعف منه الزعم بأن كفار قريش أفضل من المسلمين- في عصر ابن عبد الوهاب - بخصلتين!.

والحاصل: أنه لا يجوز لابن عبد الوهاب ولا لغيره أن يذكر فضائل الكفار ويهمل أخطاءهم، بينما يختار ما يتصوره أخطاء لبعض المسلمين وينسى فضائلهم!.

ولا يجوز أن تختار الوهابية الآيات التي قد توهم بها العوام- ولو دون قصد- بأن فيها ثناء على الكفار، وتترك الآيات التي تدمهم وتبين كفرهم وظلمهم وتكذيبهم بالبعث...إلخ.

لا يجوز أن تقوم بكل هذا حتى تسوغ به قتالها للمسلمين الركع السجود؛ بزعم أنهم مثل الكفار تماماً

الذين (يصلون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..؟!)-
وأنها تقوم بعمل النبي ﷺ نفسه! فهذا غير صحيح، والاعتراف بالخطأ خير من التمادى في الباطل، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن رضى المعصية كان كمن شهدا وشارك فيها أو قريب من ذلك، فلنتقوا الله ولا تدعكم القوة والكثرة عن ديننا، ولا تغتروا بكثرة المناصرين للباطل سمعة وجهلاً وهوى وظلماً، فإن هؤلاء لا يملكون جنة ولا ناراً، ولعل شيخكم الآن أحوج إلى استغفاركم من حاجته إلى نصره الأخطاء التي وقع فيها، لكنكم- للأسف- تغترون بالكثرة والغوغاء.

ثم على هذا المنهج العجيب في المقارنة بين (فضائل الكفار) و (أخطاء المسلمين)! يمكننا أن نقول:

كيف نقاتل اليهود؟! وهم يصدقون في القول، ويحترمون العدالة، ويوزعون الأموال بالسوية، ويؤمنون بالله، ويحترمون المقدسات، ويحترمون حرية الرأي..إلخ. وتترك قتال المسلمين الذين يظلمون! ويتعاملون بالربا، ويكذبون، ويخلفون المواعيد، ويخونون في الأمانات؟ والذين يجيزون التوسل ويتبركون بالصالحين؟ .. إلخ!!

كيف نقاتل اليهود وهم أقرب إلينا من مشركى قريش،
ونترك قتال من هم أشد كفراً من كفار قريش ومن
أصحاب مسيلمة بخصلتين؟.

وهكذا.. فإن ذكرنا محاسن موجودة عند اليهود
وأصحاب مسيلمة؛ وتناسينا مساوئهم، وعكسنا القضية فى
حق المسلمين فذكرنا أخطاءهم وأهملنا إيمانهم وفضلهم؛
تصبح المسألة ملتبسة، وأصبح قتال المسلمين أولى من
قتال اليهود المحتلين^(١)!!.

هذا المنهج العجيب دعا على بن محمد بن سنان
المدرس بالمسجد النبوى الشريف إلى القول فى كتاب

(١) وقد رأينا نتيجة هذا، فى بعض مواقع الإنترنت السلفية! التى لا تأسف
على ذهاب الشهداء من الفلسطينيين، وزعم هؤلاء الغلاة أن الأمر سيان،
فالأمر: كفار يقتلون مبتدعة! فالمسألة طوب يكسر بعضه- حسب
تعبيراتهم- وسبق لهؤلاء الغلاة أيضاً، أن ارتكزوا فى ذم مجاهدى البوسنة
والشيشان لأن فيهم تصوفاً وتمذهبا، يمثل هذه الأقوال العجيبة التى وجدوا
لها ما يسوغها فى كتب الوهابية، ولو شئت أن ننقل تفضيلهم اليهود
والنصارى على المسلمين- المختلفين معهم فى الرأى والمذهب- لما
انتهينا، وقد ذكرنا شيئاً من هذا فى كتاب (كشف الارتباب فى إمامة ابن
سعود وابن عبد الوهاب) فليراجعه من شاء.

(المجموع المفيد فى عقيدة التوحيد) ص ٥٥ ما يلى: (أيها
المسلمون لا ينفع إسلامكم إلا إذا أعلنتم الحرب الشعواء
على هذه الطرق الصوفية، وقضيتم عليها فأخرجتموها
من بين جنوبكم وقلوبكم ومجالسكم ومجامعكم ومساجدكم
وزواياكم، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود، فإنها روح
اليهود والمجوس تغلغت فى جسم الإسلام فزلزلته
وأوهنته).

أما إن أخذت- أيها المسلم- جميع صفات هؤلاء
وهؤلاء فستعرف أين تضع سيفك.

وكذلك الحال فى كفار قريش أو كفار العرب عموماً،
الذين بعث فيهم النبى ﷺ، إذا اقتصرنا على بعض مكارم
الأخلاق، وبعض الانقطاعات التى انقطعوا عندها، أو
اعترفوا بها، خرجت بالصورة الجميلة عنهم التى أخرجها
محمد بن عبد الوهاب.

أما إن استعرضت جميع الآيات التى تتحدث عن
الكفار؛ فستعرف أنهم يختلفون كثيراً عن فساق المسلمين
وظلمتهم؛ فضلاً عن صالحهم وعلمائهم.

الملحوظة الرابعة:

ويقول ابن عبد الوهاب ص ٨: (فإذا تحققت أنهم مُقرون بهذا- يقصد بأن الله هو الخالق الرازق-.. ولم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله ﷺ، عرفت أن التوحيد الذى جحدوه، هو: توحيد العبادة، الذى يسميه المشركون! فى زماننا (الاعتقاد)!!) أهـ.

نقول: فى هذا النص تكفير صريح لعلماء المسلمين فى زمانه أو كثير منهم! فإن كان يقصد كل الذين يطلقون كلمة (الاعتقاد) على كتب العقيدة، فقد كفر كل العلماء فى زمنه، وإن كان يقصد (اعتقاد الصوفية) فقد كفر بعض العلماء، دون نظر لتأويلهم، فالتأويل مانع كبير من موانع التكفير، فإن كان قصده الأول فهذا من التكفير الخفى الذى لا يدركه كل قارئ، إذ يصبح مقصود ابن عبد الوهاب بالمشركين فى زمانه هم الذين لهم كتب يسمونها (الاعتقاد) وهذه ليست فى أمة سوى أمة المسلمين..

ثم حجة المتصوفة عليها كثير من أهل العلم، وهو اعتقادهم أن هناك أزماناً وأوقاتاً وأماكن هى مظنة نزول الرحمة وقبول الدعاء أكثر من غيرها، فمن الأوقات ثلث

الليل الأخير، وليلة القدر، ويوم عرفة، وليلة النصف من شعبان،.. إلخ- سواء صح الحديث فى هذه أو ضعف، فالناس فى تصحيح الحديث بين متشدد ومتساهل، ومن الأماكن التى يرجون عندها استجابة الدعاء، المساجد، ومواقف الحج فى عرفة ومنى ومزدلفة، والمدينة النبوية، وعند روضات الصالحين من أنبياء أو أتباع، وفى هذه المسألة الأخيرة وقع النزاع من قديم، فمن يرى ذلك يعتقد أنه بما أن هذا الإنسان رجل صالح وأن روحه تسمعهم فيعتقدون أنه مادام أنه حى فى روضته أو روحه تسمعهم فإن رجاء الإجابة عند روضته تترجح، فيطلبون منه الشفاعة والدعاء والتأمين على دعائهم، فهذه الصورة مباحة عند كثير من أهل العلم بل نقل ابن حزم الإجماع عليها، ووجدنا أن علماء سلفيين صرحوا بها ومنهم الذهبى والشوكانى، وعلى هذا يكون الوهابية هنا قد خالفوا الإجماع السكوتى، وهو من حقهم لأن الإجماع السكوتى غير حجة، لكن ليس من حقهم تكفير أصحاب الإجماع السكوتى.

ثم فى كلام ابن عبد الوهاب ما يوحى بأن هؤلاء

يعبدون الصالحين وهذا غير صحيح، فالمسلمون كلهم متصوفتهم وعلماؤهم وعوامهم لا يعبدون إلا الله بخلاف هؤلاء المشركين من كفار ونحوهم؛ الذين يسجدون للأصنام؛ وإذا لم يكن هذا واضحا؛ فلن نستطيع التفريق بين أمور أخرى أشد التباساً، ومن تلك الأمور المتبسة اتهام بعض العلماء لابن عبد الوهاب وأصحابه بأنهم خوارج؛ فهم يرون أن خصائص الخوارج مجتمعة فيهم لأنهم يكفرون المسلمين، ويستبيحون دماءهم، وأنهم في آخر الزمان، ويخرجون من قبل المشرق^(١)، وينزلون الآيات التي نزلت في المشركين على المسلمين، وأنهم يقرؤون القرآن بما فيه من أوامر ونواهي فلا يتجاوز حناجرهم، فلذلك لم تمنعهم هذه القراءة من تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وظلمهم، مع النهي عن ذلك

(١) بعضهم يتأول أحاديث ذم المشرق بأن المراد بذلك (العراق)، بل يتأولون أحاديث ذم نجد بأن المراد نجد العراق! والأحاديث في الصحيحين، إلا أن هذه التأويلات التي يصرفون فيها هذه الأحاديث من ذم نجد إلى ذم العراق، وتأويلات فاسدة هزيلة بعيدة عن الصواب. وكان يمكن تأويلها بحيث لا تنزل على الصالحين من أهل نجد كما أن مدح الشام واليمن لا تتناول الظلمة منهم.

في النصوص القرآنية، ومع النهي القرآن عن الظلم وليس الحق بالباطل!، وأن سيماهم التخليق و.. الخ.

فإذا كان الوهابية يعتبرون التسوية بين الخوارج وبينهم ظلماً- مع وجود هذا التشابه الكبير عند المخالفين لهم- فالتسوية بين كفار قريش والمسلمين أكثر ظلماً، وأبعد عن الحق، وإن كان أتباع ابن عبد الوهاب يعتبرونه معذوراً في تفضيل كفار قريش على علماء زمانه؛ فالذي يجعل الوهابية من الخوارج يكون أولى بالعدو؛ لأن الخوارج- مع هذا- مسلمون على الراجح، ولم يكفرهم الصحابة بينما كفار قريش لا يشك أحد في كفرهم.

الملحوظة الخامسة:

قوله ص ٨:- في وصف محاسن كفار قريش وغيرهم:- (كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً! ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفوا له، أو يدعوا رجلاً صالحاً مثل اللات! أو نبياً مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك! ودعاهم إلى الإخلاص العبادية.. فقاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله، والذبح كله لله،

والاستغاثة كلها بالله، وجميع العبادات كلها لله.. إلخ) أهـ.

نقول: الكفار لم يكونوا يدعون الله ليلاً ونهاراً! وإنما كانوا يذكرون هبل واللات والعزى ومناة، ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً لما نهى الله نبيه عن (عبادة الذى يدعون) كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١)، وقال تعالى واصفا حال الكفار ساعة الموت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتُوفُونَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢)؟! وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾^(٣)، وقال عن الكفار: ﴿قَالُوا رَبُّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾^(٤) وغير ذلك كثير من الآيات التى لم نشأ تتبعها، وهى تخبر عنهم بخلاف ما أخبر ابن عبد الوهاب، بأن دعاءهم أو أكثره على الأقل كان متوجهاً للأصنام وليس

(١) سورة الأنعام آية ٥٦.

(٢) سورة الأعراف آية ٣٧.

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٤.

(٤) سورة النحل آية ٨٦.

كما يقول من أنهم (يدعون الله ليلاً ونهاراً)! إضافة إلى أنهم لم يكونوا يدعون الله بإخلاص إلا فى الشدائد.

ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً - كما وصفهم ابن عبد الوهاب - لغبطهم عليه زهاد الصحابة! فهذه صورة من الصور الكثيرة الجميلة التى يمدح فيها ابن عبد الوهاب كفار قريش، ليس حباً فيهم؛ ولكن ليقارن بينهم وبين مسلمى عصره؛ موهماً بتشابه هؤلاء وهؤلاء! ثم ليبنى على هذه المقارنة الناقصة وذلك الإيهام تفضيلهم على المسلمين، ثم البناء على هذا كله تكفير المسلمين واستحلال قتالهم^(١).

(١) أتى محمد بن عبد الوهاب على الكفار فى مواضع كثيرة منها قوله عن كفار قريش: (كانوا يعرفون الله ويخافونه ويرجونه)! الدرر السنية (١٤٦/١)، وهذا لا يصح إطلاقه، ومن ذلك قوله: (كانوا - يعنى كفار قريش - يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل!!) الدرر السنية (١١٨/٢)، فهذا الكلام فيه نظر كبير لا يخفى على منصف.

وأنتى على المنافقين لهذا الغرض فى مواطن كثيرة ومنها قوله: (كان المنافقون على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ويحجون معه..)

والذى يجب أن يصحح هنا أن النبي ﷺ قاتل الكفار،
 لأمر كثيرة أهمها، الشرك الأكبر بالله، وإخراج المسلمين
 من ديارهم، وإنكارهم النبوة، وارتكابهم المظالم.. إلخ.
 فتعليل ابن عبد الوهاب ناقص، وهذا النقص فى
 التعليل أدى إلى قتال مسلمين (يصلون ويحجون ويذكرون
 الله)!.

المتناقضة، فمن اتبع مسيلمة كفر، ومن رد شهادة الصحابي كفر! وكذب
 بالآيات فى تعديلهم فى زعم الغلاة! فماذا تريدون من أصحاب مسيلمة أن
 يفعلوا؟ هم- حسب وصف ابن عبد الوهاب - من غلاة السلفية فى قضية
 عدالة الصحابة! فهل تريدون منهم أن يكفروا بنظرية عدالة الصحابة أم أن
 يؤمنوا بنبوة مسيلمة؟! وقد أتى ابن عبد الوهاب على المرتدين الذين قيل
 إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أحرقتهم، فقال عنهم (٤٤/٢):
 كانوا يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أهد.

نقول: وهذا غير صحيح، فأقوى الروايات تذكر أن القوم قتلوا وأنهم كانوا
 مرتدين تماماً، وبعض غلاة الوهابية يقولون: إنهم ادعوا الإلهية فى على،
 فإن كان هذا صحيحاً فهو أبلغ فى الرد على ابن عبد الوهاب بأن هؤلاء لا
 يشهدون الشهادتين.

والخلاصة أن ابن عبد الوهاب يثنى على المشركين الحقيقيين كفاراً كانوا
 أو مرتدين أو منافقين ويذم المسلمين فى عصره، متهما إياهم بشرك أعظم
 من شرك الكفار الأصليين، وهذا غاية فى التجاوز.

أنظر الدرر السننية (٨٦/٢).
 نقول: كل الكلام السابق- على ما فيه من أخطاء- يمكن قبوله إلا قوله:
 (فى سبيل الله) فالمنافقون لا يفعلون هذا لأجل الله وإنما لأهداف أخرى،
 إضافة إلى أنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون، ولا يقومون إلى الصلاة إلا
 وهم كسالى، ولا يصلون مع النبي ﷺ الفجر ولا العشاء... فى أمور
 أخرى من مساوئهم أهملها ابن عبد الوهاب، وستأتى نماذج من وصف
 كفار قريش بمثل هذا وتفضيلهم على مسلمى عصره. كما مدح ابن عبد
 الوهاب المرتدين كمسيلمة وأصحابه للغرض نفسه، فقال فى الدرر السننية
 (٤٤/٢): (مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلى
 ويصوم!!)، نقول: وهذا غير صحيح، فلو شهد أن محمداً رسول الله لما
 ادعى النبوة وقد كذبه النبي، إضافة إلى أن مسيلمة كانت له شعائر خاصة
 غير صلاتنا وصيامنا. وقال عن بنى حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب فى
 الدرر السننية (٣٨٧/٩): (هم عند الناس من أقبح أهل الردة وأعظمهم كفراً
 وهم مع هذا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون
 ويصلون وأكثرهم يظنون أن النبي أمرهم بذلك) أهد..، وقال عن أصحاب
 مسيلمة أيضاً فى الدرر السننية (٣٨٣/٩): (شهدوا أن لا إله إلا الله وأن
 محمداً رسول الله، لكن صدقوا لمسيلمة أن النبي أشركه فى النبوة، وذلك
 أنه أقام شهوداً شهدوا معه بذلك، وفيهم رجل من الصحابة معروف بالعلم
 والعبادة، يقال له الرحال، فصدقوا لما عرفوا فيه من العلم والعبادة) أهد.
 نقول: إذن فبنو حنيفة ضحية نظرية عدالة الصحابة!، التى يكاد الوهابية أن
 يكفروا من لم يؤمن بتحقيقها فى كل فرد منهم، وهذه دعوة للإيمان بالأمر

الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالله ما يعنى المشركون فى زماننا بلفظ السيد!) أهـ.

نقول: هذا أيضا فيه تكفير صريح للمسلمين فى زمانه، فالسيد يطلقها كثير من الناس فى القرون المتأخرة إلى اليوم على الرجل من أهل البيت النبوى، وقد يطلقها العوام فى عصره وفي عصرنا على من يظنون فيه البركة، فيرقى هذا ويقرأ على هذا.. وإطلاق هذا واعتقاده ليس كفراً بل ولا حراماً، وعلى أسوأ تقدير قد يكون مكروهاً، والحديث الوارد فى النهى فيه نزاع قوى، وقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه: (أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً سيدنا).

وإن كان بعض أهل نجد أو بعض أهل الحجاز فى عهد ابن عبد الوهاب، يطلقون السيد على الذين يتبركون به ويطلبون منه الدعاء، فأبسط ما يقال فى هذا الأمر أنه ليس كفراً، ثم ليس صحيحاً على إطلاقه ما ذكره ابن عبد الوهاب من أن المشركين كلهم كانوا يعلمون أن الله هو الخالق الرازق.. إلخ، فهذا متحقق فى بعض الكفار لا كلهم، فالدهريون مثلاً لا يؤمنون بهذا بنص القرآن الكريم

ثم لم يرد فى القرآن الكريم أن علة قتال النبى صلى الله عليه وسلم للكفار، إنما حتى يكون الذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله.. فقط.

وإنما الأسباب الكبرى الرئيسة هي: الشرك الأكبر وإنكار النبوة وإخراج المسلمين من ديارهم.. إلخ.

فاين عبد الوهاب يذكر أسباباً صغيرة مشتبهة (أو تلفيقات حسب تعبير معارضيه) فلم تذكر فى النصوص، وليست متحقة، ولا يدري بيقين أهى من أسباب القتال أم لا؟! ويترك الأسباب الكبرى المتفق عليها والمنصوص عليها فى القرآن الكريم بأنها هى سبب قتال النبى صلى الله عليه وسلم للكفار، وإنما غلا من غلا من الخوارج والطوائف بتركيزهم على مثل هذه الدقائق المشتبهة وتركهم القطعيات الكبرى، فيبيحون دم المسلم لشبهة من دليل صحيح أو لدلالة دليل ضعيف، وبهذا غلا الغلاة عبر التاريخ.

الملحوظة السابعة:

ثم يواصل ص ٩ بقوله: (لم يريدوا أن الإله هو الخالق

فى قولهم: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾.

التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعانى؟! أهـ.

الملاحظة الثامنة:

قول ابن عبد الوهاب ص ٩: (فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها... أهـ.

نقول: ما ذكره ابن عبد الوهاب غير صحيح؛ فليس هناك مسلم واحد يقول: إن معنى (لا إله إلا الله) هو التلفظ بها دون اعتقاد القلب لذلك.

والمسلمون جميعهم علماءهم وعوامهم، يمقتون فى المسلم أن يقول ما لا يعتقد، بل حتى العوام يسمون هذا (نفاقاً)، وهم يذمون من يخالف قوله فعله، بل حتى الكفار يذمون من يخالف قوله فعله..

نقول: لكن مجرد التلفظ بها ولو كذبا وتعودا يعصم صاحبها من التكفير والقتل، بينما من يقولها من معاصرى ابن عبد الوهاب صادقاً ومتديناً لا تعصمه من تكفير ولا قتال، فالمنافقون فى عهد النبي ﷺ يقولون الشهادتين بألسنتهم، وكان النبي ﷺ يعرف ذلك فى كثير منهم؛ ومع ذلك عصمت دماءهم وأموالهم، أما المعاصرون لابن عبد الوهاب من المسلمين فلم تعصم دماءهم وأموالهم لا الشهادتان ولا أركان الإسلام.. مع صدقهم فى ذلك.

فكيف يظن ابن عبد الوهاب: أن المسلمين فى عصره يقولون بجواز أن نشهد الشهادتين بلا اعتقاد لمعانيها، فنقول: (لا إله إلا الله) ونعبد غيره، (ونقول: محمد رسول الله) ونعتقد كذبه..؟!.

الملاحظة التاسعة:

ويقول ص ٩: (فالعجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن (يعنى المدعى للإسلام) أن ذلك (يعنى تفسيرها) هو

فالمسلمون فى عهد ابن عبد الوهاب مثل المسلمين اليوم فى البلاد الإسلامية، فهل يجوز لنا أن نقول اليوم: إنهم يقولون: (نقول: الشهادتين باللفظ فقط وسننحو حتى وإن اعتقدنا خلافها)؟!.

نعم لهم أدلة يستجيزون بها التوسل والاستشفاع

لكن أن يأتي عالم ويزعم أن (لا إله إلا الله) ليس معناها (لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله) مع جواز صرف العبادة لغيره، فلا نظن عالماً عاقلاً يقول هذا، ومن زعم هذا فعليه الدليل والبرهان.

الملحوظة الحادية عشرة:

ذكر ص ١١: (أن أعداء التوحيد قد يكون عندهم علم وحجج وفصاحة).

نقول: وهذا إقرار منه بأنه يتحدث عن معارضية من علماء عصره في نجد والحجاز والشام^(١).. وأن معهم علماءً وفصاحة، وقبل هذا ينفي أنهم يعرفون معنى لا إله إلا الله!!

تكفير المعاصرين لابن عبد الوهاب

الملحوظة الثانية عشرة:

ويقول ص ١١: (والعامى من الموحدين يغلب ألفاً من

(١) وقد كرر غير مرة بأن خلافة مع الصفوة من العلماء والقضاة لا مع العوام.

والاستغاثة ونحو ذلك، بل هم لا يرون هذا متناقضاً مع الشهادتين، ولهم في ذلك مؤلفات وأدلة وتأويلات لا تقل قدراً عن تأويلات الوهابية وشبهاتهم في تكفير المسلمين! وجعلهم أشد كفرةً من كفار قريش بخصلتين!، وستبقى نظرية المؤامرة والتشكيك حاضرة في حواراتنا، ما دام الغلو له حضوره في هذه الحوارات.

الملحوظة العاشرة:

ثم يقول ص ٩: (والحاذق منهم- يعنى ممن يدعي الإسلام من علماء المسلمين!- يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله!) ثم يتبع هذا بقاصمة وهي (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)؟!.

نقول: إن علماء المسلمين في زمانه لا يفسرون الشهادتين كما ذكر ابن عبد الوهاب هنا- فيما نعلم- قد يقصرون في تفسير معنى الشهادتين، فإن حصل فلن يجوزوا صرف العبادة لغير الله ولو بأدلة أخرى قرآنية فيها الأمر بوجوب صرف العبادة لله، نعم لهم تأويل بأن التبرك والتوسل لا يناقض الشهادتين وهذا شيء آخر.

علماء هؤلاء المشركين)!!.

نقول: هذا تكفير واضح لعدد كبير من العلماء، ويستحيل في العادة أن يوجد مثل هذا العدد الكبير (ألف!) من العلماء الكفار في بلد واحد، فاعرف هذا فإنه مهم وهو من أدلة من يتهم الشيخ بتكفير من لم يتبعه! والشيخ وأتباعه يقولون: معاذ الله أن نكفر المسلمين، وهذا قول عام لكن المشكلة أن المسلم عندهم غير المسلم عند سائر المسلمين، فالمسلم عند ابن عبد الوهاب- ومن يقلده- له شروط طويلة عريضة متفرعة، سيضطر هو ومن يتابعه أن يختلفوا في هذه الشروط مع العلماء قبل العوام، فالتلفظ بالشهادتين لا يكفي مخرجاً من الكفر، ثم معرفة بعض الشروط دون بعض لا يخرج من الكفر أيضاً، ثم تفسير بعض الشروط لا بد فيها من تقليد ابن عبد الوهاب، وهكذا لا تكاد تنطبق هذه الشروط وتفريعاتها وتفسيراتها إلا على من يقلد ابن عبد الوهاب ويتبعه- كما سيأتي مدعماً في الأمثلة القادمة- وهذا تعقيد لما سهله الله ويسره، ثم شوائب الفكر والظنون لا يخلو منها مسلم، وأدرك بعض التابعين عشرات الصحابة يخشون على

أنفسهم من النفاق، فالخواطر والظنون والتساؤلات المحيرة والأخطاء في الممارسات أمر وارد، بل لا يكاد ينجو منه مسلم.

الملحوظة الثالثة عشرة:

ويقول ص ١٢: (وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا...)!! أهـ.

نقول: يا ترى من هم هؤلاء المشركون الذين يغوصون في أدلة الكتاب والسنة مع فصاحة وعلم وحجج؟! أليسوا علماء مختلفين معه في دعوى كفر مخالفية من علماء وعوام؟ لا ريب أن هذا فيه تكفير صريح للمخالفين له ممن تسميهم الوهابية (خصوم الدعوة) أو (أعداء التوحيد) أو (أعداء الإسلام)!! وهذا ظلم، لأن ابن عبد الوهاب كان يرد على مسلمين ولم يكن يرد على كفار ولا مشركين، وهذه رسائله وكتبه ليس فيها تسمية لمشرك ولا كافر وإنما فيها تسمية لعلماء المسلمين في عصره كابن فيروز، ومريد التميمي، وابن سيحيم سليمان وعبد الله، وعبد الله بن عبد اللطيف، ومحمد بن

وعبد الله وأحمد الغماريين، وحبيب الرحمن الأعظمي، والكبيسي، وعبد القادر البيحاني، وعبد الرحيم الطحان، وغيرهم، ولو يستطيع الوهابية لقالوا عنهم: (المشركون في زماننا) وقد قيل!!

ومن المؤسف أنه لا يوقف تكفير الوهابية وتبديعهم للآخرين واعتدائهم عليهم إلا أمران اثنان: السلطة أو العجز، ولولاهما لما أبقوا أحداً إلا وصموه بكفر أو بدعة مكفرة! وطالبوا باستنابته ثم من السهولة قتله! لأن الناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

مع أن الواجب على العلماء وطلبة العلم، أن يكونوا أول الناس معرفة بحقوق المسلم، وأن يراعوا وصية النبي ﷺ في حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) فهي آخر وصية بثها النبي ﷺ في أكثر من مئة ألف من المسلمين، والعلماء يعرفونها بألفاظها وأسانيدها، أكثر من الحكام، فمن التقريط والغش للدين ألا يوقف العلماء عن انتهاك هذه الوصية الكبرى إلا

سليمان المدني، وعبد الله بن داود الزبيري، والحداد الحضرمي، وسليمان بن عبد الوهاب، وابن عفالق، والقاضي طالب الحميضي، وأحمد بن يحيى، وصالح بن عبد الله، وابن مطلق، وغيرهم من العلماء الذين يطلق عليهم الوهابية (المشركون في زماننا)!!

وقد استمر علماء الدعوة الوهابية بعد ابن عبد الوهاب في تكفير أو تبديع يكاد يصل للتكفير لعدد آخر من علماء المسلمين في عهد الدولة السعودية الثانية كابن سلوم، وعثمان بن سند، وابن منصور، وابن حميد، وأحمد بن زيني دحلان المكي، وداود بن جرجيس وغيرهم.

وفي القرن الرابع عشر الهجري استمر تكفير الوهابية وتبديعهم^(١) لعلماء معاصرين كالكوثري، وأبو غدة، ومحمد حسين فضل الله، والدجوى، وشلتوت، وأبى زهرة، والغزالي، والقرضاوى، والطنطاوى، والبوطى،

(١) نقول: (تكفيرهم وتبديعهم) لأن بعض الوهابية يكفر، وبعضهم يقتصر على التبديع، والنتيجة واحدة لأن المبتدع عندهم من أهل النار، من الفرق الهالكة! والمبتدع عندهم يستحق القتل بعد الاستنابة، والبدعة عندهم واسعة جداً حتى أنها تأتي على كل لطف ورحمة بالمسلمين!.

الحكام(١).

الملحوظة الرابعة عشرة:

قوله(٢) ص١٣-: (وما ذكرت لى أيها المشرك!! من القرآن أو كلام النبي ﷺ) لأعرف معناه..!!).

نقول: ياترى من هذا المشرك الذى يستدل على ابن عبد الوهاب وأتباعه بالقرآن والسنة؟! أى مشرك لطيف هذا؟!

(١) وبعض حكام المسلمين كثير منهم لايراعى الدماء المعصومة، لكنهم بالتأكيد أصبحوا أخف شراة ودعوة للدماء من كثير من الوهابية من العلماء وطلبة العلم، لأن دساتير الدول وقوانينها فيها تأكيد على حقوق الإنسان أكثر من كتب العقائد التى يدرسها ويدرسها كثير من العلماء.

(٢) يعلم هنا أحد أتباعه أن يقول الواحد منهم للمختلف معه هكذا (وما ذكرت لى أيها المشرك!!) وهو تعليم عام للتكفير ووصف المخالفين بالشرك! فكتاب كشف الشبهات أصلاً وضعه لتعليم الناس العاديين العقيدة وكيف يتخاطبون مع مخالفيهم من (المشركين)! الذين يستدلون بـ (القرآن والسنة) ويكونون داخل (الجزيرة العربية)! أى شرك هذا؟؟؟.

الملحوظة الخامسة عشرة:

ويقول ص١٣، ١٤: (فإن أعداء الله (هكذا!) لهم اعترافات كثيرة يصدون بها الناس، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره. ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم. فجأوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة..).

نقول: هذا يدل على أن ابن عبد الوهاب يرى تكفير ووجوب قتال هؤلاء الذين يقولون القول السابق، وأنه يعتبرهم مشركين شركاً أكبر؛ كشرك كفار قريش وهذا عين التكفير، لأن المشركين من كفار قريش تقربوا إلى الله بعبادة غيره ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر: ٣) ولا يوجد مسلم واحد يعبد ولياً أو صالحاً!!.

وإن اعتبرهم البعض مبتدعين، فالمبتدع لا يجوز تكفيره فضلاً عن قتله، وكل المبتدعين المقتولين عبر التاريخ إنما

كانوا مقتولين لظروف سياسية بحتة؛ يدركها من درس التاريخ^(١).

الملاحظة السادسة عشرة:

قوله ص ١٤: (فإنه إذا أقر - يعنى المخالف لمنهج ابن عبد الوهاب - أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله!! وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره (من صلاتهم وصلاتهم بخلاف الكفار) فاذكر له^(٢) أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء..) أهـ.

نقول: الكفار لا يؤمنون ببعض الربوبية، ولا بالألوهية كلها، وهم يعبدون الأصنام ذاتها، ولم يقتصر على الطلب (طلب الشفاعة فقط)، بل قولهم ببعض الربوبية

(١) لا يظن ظان أن خالد القسرى والحجاج وأمثالهما ممن كانوا يحرقون الكعبة ويقتلون الصالحين أنهم قتلوا الناس حرصاً على الدين!!.

(٢) يخاطب قارئ الكتاب من أتباعه، الذين سيتعلمون التكفير قطعاً إن كانوا مقلدين لابن عبد الوهاب، وهل يجرؤ أحد على مخالفته؟ في الوسط الوهابى السلفى؟ لا نظن أن أغلب قراء الكتاب مقلد.

قالوه انقطاعاً لا اعتقاداً، أو أنه قول بعضهم فقط، لأنه ثبت عن بعضهم على الأقل أنهم يقولون بالدهر ولا يؤمنون بالبعث.

أما المسلمون فإنهم لا يسجدون لأحد غير الله، ولا يعبدون إلا الله، وقد يتأول بعضهم بأن الصالحين من الأحياء والأموات، يجوز التوسل بهم وطلب شفاعتهم عند الله، وسؤال الله بجاههم، وأنهم إن دعوا لهم فإنهم ينفعونهم بإذن الله لا استقلالاً عن إرادة الله^(١) وهذا يختلف كثيراً عن هؤلاء الكفار.

والحاصل أن التشابه بين الكفار والمسلمين المعاصرين

(١) حتى الذين يجوزون أن الولي يحيى الموتى لا يقولون بأنه الولي يفعل هذا استقلالاً عن الله!! وكذا الذين يقولون بالولاية التكوينية للأئمة وأن ذرات الكون تخضع لهم، لا يقولون بأن هذا يحدث استقلالاً عن إرادة الله، مثلما منح بعض الأنبياء كعيسى عليه السلام القدرة على الخلق من الطين كهيئة الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص لكن بإذن الله، ومثلما منح بعض الأولياء كصاحب سليمان القدرة أن يأتي بعرش بلقيس في لحظة كل هذا بإذن الله، فهذه الأقوال لا يعيدونها إلا لقدرة الله وإذنه وتقديره ومنحه بعض الخصائص لعباده من أنبياء وأولياء، ولهم فى ذلك أقوال ومؤلفات.

لابن عبد الوهاب- إن سلمنا به- أبعد بكثير من التشابه بين الخوارج وأتباع ابن عبد الوهاب، فالتشابه بينهم من التكفير والتحليق واستحلال الدماء.. إلخ، أكبر وأظهر.

وحجة الخوارج على الإمام على عليه السلام هي قريبة من حجة الوهابية على مخالفيهم، فالخوارج قالوا بوجود صرف الحكم كله لله (لا حكم إلا لله)!! وهي كلمة حق أريد بها باطل مثلما ظن الوهابية من قولهم: (لا ذبح إلا لله، ولا توسل إلا بالله، ولا استغاثة إلا بالله.. إلخ). فهذا حق من حيث الأصل لكن قد تكون هناك صور في التطبيق تخرج عن هذا الإطلاق؛ وأقل الأحوال أن تكون هناك ممارسات خاطئة للإطلاقات السابقة، يفعلها البعض بتأويل أو جهل، فهذه الممارسة لا يكفر صاحبها إلا بعد ارتفاع موانع التكفير وقيام الحجة.

ولا حجة تقوم مع جهل أو تأويل، مادام الجاهل والمتأول، يقر بأنه مسلم، ولا ينكر قطعياً أجمع عليه المسلمون كوجوب الصلاة وبر الوالدين وأداء الزكاة وصوم رمضان.. أو تحريم الظلم والكذب والغش وقتل النفس التي حرم الله.. إلخ، بل صاحب الردة الفردية

الصريحة لم يتفق العلماء على وجوب قتله والحديث فيه ضعيف، وتطبيق النبي صلى الله عليه وسلم على خلفه - وقد سبق التفصيل- فكيف بمتابعة ابن عبد الوهاب في تلك المضائق التي خطوه فيها أكثر من صوابه، ولا يكاد يتفق معه عالم من العلماء السابقين واللاحقين إلا من يقلده، ومن أظهر ذلك تقسيم الجزيرة العربية إلى ديار كفر وديار إسلام لوجود بدع هنا وهناك، فهذا لم يسبقه أحد إليه لا ابن تيمية، ولا ابن القيم، ولا غيرهما من المتوسعين في التكفير، وقد كانت الأمة في عهدهما هي الأمة في عهد ابن عبد الوهاب لكنهم لم يقسموا العالم الإسلامي إلى ديار كفر وديار إسلام، فهذه من انفرادات الوهابية الكبرى التي لم يسبقهم إليها إلا الأزارقة من الخوارج (١).

(١) الأزارقة نسبة لنافع بن الأزرق الحنفي، وهم أشد الخوارج، انفردوا عن الخوارج بأمر منها: البراءة من القعدة، والامتحان لمن قصد عسكر المخالفين، وتكفير من لم يهاجر إليهم، وأن من أقام في دار الكفر فهو كافر، (وهذه كلها في الوهابية) ولهم عقائد أخرى.. لكن من يراجع عقائد الخوارج يعلم أن أغلبهم فيهم اعتدال لا نجده في بعض الوهابية والسلفية.

الملحوظة السابعة عشرة:

قال ص ١٥: (فإن قال - يعنى المخالف لابن عبد الوهاب- الكفار يريدون منهم (يعنى يريدون من الأصنام) وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شئ ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم، فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء

وكإجماعهم- إلا النجدة- على أن الله لا يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً (وهذا خلاف ما يشاع عنهم باعتقاد البعض منهم)، وكانوا يعذبون بالجهل، وكانت النجدة منهم يعذبون بالجهل قائلين: (الدين أمران: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا هو الواجب وما سوى ذلك فالناس فيه معذرون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة.. ومن استحل شيئاً من طريق الاجتهاد مما لعله يحرم فمعذور.. ويرى الإباضية أن دار المخالفين دار إسلام إلا عسكر السلطان- وهذا أخف من قول الوهابية- وأجازوا شهادة مخالفينهم على أصحابهم).. إلخ، فمثل هذه الأقوال (الخارجية) فيها اعتدال لانجد بعضه عند السلفية، فلماذا التشنيع عليهم وإلزامهم قول البعض منهم وتحميلهم أخطاء الوهابية فى التكفير واستحلال دماء المسلمين؟ (بالاستزادة عن عقائد الخوارج وخاصة فيما نقلناه عن الأزارقة انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٦٧).

بسواء!!) أ.هـ.

نقول: الذى يقول الكلام السابق لا يكفر؛ لأنه متأول أو جاهل- وابن عبد الوهاب يكفره- ويقصد أنه يتفق مع الكفار فى جزئية مما يجعله متساو معهم، أو أن لهما الحكم نفسه^(١).

بمعنى لو أقسم أحد بغير الله، فقد شارك الكفار فى جزئية يسيرة، لكن لا يكفر بسببها، فابن عبد الوهاب غفل عن مثل هذه الدقائق؛ فوقع فى تكفير المسلمين، فتركيز ابن عبد الوهاب على آية ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، التى فيها وصف خصلة واحدة فقط من خصال الكفار الأصليين، أو أنها حكاية عن انقطاعهم واعتذارهم الواهى، الذى لا يصاحبه صدق نية، وإغفاله لبقية الآيات فى وصف عقائد الكفار الأخرى القطعية والكثيرة، فهذا فيه نقص كبير فى استيفاء مواطن اختلاف الكفار عن المسلمين.

(١) علماً بأننا نأخذ أقوال هؤلاء من ابن عبد الوهاب نفسه وهو خصم لهم، فمؤلفات العلماء الذين ردوا عليه لا يقرون بمثل هذه النقولات، لكننا نناقش تلك الأقوال على افتراض صحتها إلى قائلها.

محاورة مع الوهابية

ثم طلب الشفاعة من النبي ﷺ والصالحين مع اعتقاد أنهم جميعاً عبيد الله، وأنهم لا يعطون شيئاً إلا بإذن الله، هذا كله ليس كالسجود للأصنام، ولذلك يستطيع مخالف ابن عبد الوهاب أن يلزمه تكفير شارب الخمر، لأنه لا يشربها إلا وهو يحبها والمحبة عبادة، وصرف شئ من المحبة لغير الله شرك وهكذا..

فيا أتباع الوهابية إن قلتم: نحن لا نعترض على محبة الصالحين وإنما نعترض على عبادتهم.

قيل لكم: هؤلاء لا يعبدونهم، وأنتم تسمون توسلهم بالصالحين أو تبركهم بهم عبادة، وهم لا يقرون لكم بأن هذه عبادة ولهم أدلة في ذلك تمنع من تكفيرهم، فهذا هو التأويل الذي ذكر العلماء أنه يمنع من التكفير.

فإن قلتم: التوسل عبادة.

قالوا: ما دليلكم على ذلك؟

فإن قلتم: لم يفعله السلف؟

قالوا: قد فعله عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد

المطلب.

فإن قلتم: عمر توسل بالحي لا بالميت.

قالوا: وهل تجوز عبادة الحي؟

إن قلتم: لا؟

قالوا: فلماذا تسمون (التوسل) عبادة؟! هذا دليل على

أنكم تسمون الأشياء بغير اسمها.

فإن قلتم: التوسل بالميت عبادة بخلاف الحي.

قالوا لكم: ما دليلكم على التفريق؟

فإن قلتم: دليلنا فعل الصحابة فإنهم فعلوا هذا ولم

يفعلوا ذلك.

قالوا لكم: - على التسليم لكم - فإنهم قد يتركون أمراً

ولا يكون محرماً فضلاً عن كونه كفراً مخرجاً من الملة؟!!

ثم عندنا أدلة في توسل بعضهم بالنبي ﷺ بعد انتقاله، كما

في حديث عثمان بن حنيف المشهور.

فإن قلتم: هذا عندنا ضعيف.

قالوا لكم: وأكثر الأحاديث التي تستدلون بها هي عندنا

ضعيفة، بل هي ضعيفة عند التحقيق، مثل حديث تقريب

الذباب وحديث شرك آدم وحواء، وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة الموجودة في كتبكم.

فإن قلتم: الأولى تجنب التوسل للشبهة والاختلاف.

قالوا لكم: أولى من ذلك تجنب تكفير المسلمين وتفضيل كفار قريش عليهم لأن الأصل المتيقن هو الإسلام لا الشرك، فلا نترك المتيقن للمظنون.

فإن قلتم: التشديد لا بد منه ليهتدى المسلمون لدين الله ويحذروا تلك البدع والخرافات.

قالوا لكم: والرد عليكم لا بد منه ليحذر طلاب العلم من الوقوع في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم.

فإن قلتم: تعالوا للتحاكم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وترك التقليد.

قالوا لكم: مرحباً وأهلاً فقد قلنا لكم هذا من زمن طويل وأنتم ترفضون، وتستعدون علينا بنفوذ آل سعود، ولم تنتهوا عن تكفير الأبرياء حتى كفر بعضكم بعضاً، وتظالمتم فعرفتم عندئذ مقدار ظلمكم لنا في الماضي، وتعرفتم على (بعض) ما كنا نستدل به في براءتنا من الكفر، لأنكم ذكرتم أدلة في الرد على من يكفركم كنا

نكررها في الرد على تكفيركم لنا، فاعتدالكم في الأزمنة الأخيرة للأسف كان لمصلحة أنفسكم وحمائتها لاحماية جانب الشريعة.

إنكار الشفاعة

الملاحظة الثامنة عشرة:

قوله ١٦، ١٧: (ولا يشفع- النبي ﷺ- في أحد إلا من بعد أن يأذن له الله فيه كما قال عز وجل: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾!!.. ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد)، أهـ.

نقول: على هذا يمكن أن يقال ما قاله بعض معارضي ابن عبد الوهاب من أنه بناء على هذا الكلام فلن يدخل الجنة في زمن ابن عبد الوهاب إلا أهل العيينة والدرعية! ففي كلام ابن عبد الوهاب السابق تكفير ضمنى لكل من يرى التوسل بالصالحين أو طلب الشفاعة منهم، وهم جمهور من علماء المسلمين وعامتهم في ذلك الوقت وفي زماننا أيضاً.

وهنا نتذكر صدق كلمة قالها أحد معارضى محمد بن عبد الوهاب عندما قال ما معناه: (النبي ﷺ أخبر أنه سيأتى مفاخراً بقومه يوم القيامة وعلى كلام هذا- يقصد ابن عبد الوهاب - سيأتى نبينا ﷺ وليس معه إلا نفر من أهل العيينة)!! أهـ.. ذكر هذا عنه الدكتور عبد العزيز ابن عبد اللطيف فى كتابه (دعاوى المناوئين).

والدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف رد على الكلام السابق رداً عاماً، ولم يتنبه للوازم كلام محمد بن عبد الوهاب هنا عندما حرم الشفاعة على غير أتباعه الذين سماهم (الموحدين) بحجة أن غير هؤلاء ليسوا مسلمين ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾! فالمسلمون فى العالم الإسلامى - سوى أتباع ابن عبد الوهاب بنجد وملحقاتها- يكونون عنده قد ابتغوا غير دين الإسلام!.

وهذا أمر فى غاية الخطورة لأن العالم الإسلامى ظهرت فيه بدع وخرافات من زمن طويل، وفيه العلماء المتأولون والعوام الجهلة، ولكن لا يبيح للوهابية أن تقول بكفرهم، فالذين أدركهم ابن عبد الوهاب هم المسلمون أنفسهم الذين تباكبنا عليهم من هجمات الصليبيين فى

الشام، وغزو المغول فى المشرق، واضطهاد الفرنجة فى الأندلس.. أما على كلام ابن عبد الوهاب فلا داعى للبكاء لأن هؤلاء مشركون متبعون غير دين الإسلام فلماذا البكاء؟! وهذا التكفير لم يكن يوجد عند ابن تيمية- مع أخطاء وقع فيها- فقد كان ابن تيمية فى زمن يشبه زمن ابن عبد الوهاب من انتشار الجهل عند العوام وضعف العلماء فى دعوة الناس إلى التوحيد الصافى؛ لكن ضعف هؤلاء وجهل هؤلاء لا يبيح لنا إلا وصفهم بالتقصير والجهل والإثم ويكفى، أما أن نطلق عليهم الكفر المخرج من الملة؛ فهذا شئ آخر تماماً، فالتكفير أمره عظيم، وإخراج هذه الشعوب المسلمة من دين الله أمره أشد وأعظم.

بل إن بقايا الخوارج أنفسهم فى الأزمنة المتأخرة لا يكفرون العوام أو يستحلون دماءهم، كما فعل ابن عبد الوهاب وأتباعه- بفتاوى منه- فى العلماء والعوام (١).

(١) بل هذه كتب الإباضية ومنتدياتهم تنكر على الوهابية التكفير! فإن صح اتهام الوهابية لهم بأنهم خوارج، فكون الخوارج ينكرون على الوهابية التكفير دليل على ثلاثة أمور: إما اعتدال الخوارج، وإما غلو الوهابية

بقتل السارق بدلاً من قطع يده، فلا بد أن تقل السرقة وعندئذ يأتي المثني على هذا الحاكم ليصف النتيجة الجميلة من قلة السرقة أو انعدامها...!! ولكن فعل الحاكم هنا كان خلاف النصوص الشرعية، ولا بد يوماً ما أن يكون لفعله هذا آثار سلبية، لأن شريعة الله كاملة وليس فيها حكم شرعى إلا وهو وسط بين تطرفين.

وكذلك لو قام أحد الحكام بقطع يد كل من قطع إشارة المرور أو تجاوز السرعة القانونية!! فلا بد أن ينضبط المرور وتتعدم الحوادث المرورية! فى درجة تعجب منها الدول المتحضرة! ويأتى من يثنى على نتائج هذا القرار!! وأنه كان قراراً حكيماً وأن الوفيات انخفضت من عشرة آلاف فى السنة إلى (٣٠) وفاة فقط!! وقل عدد الجرحى والمعاقين من مائتى ألف فى السنة إلى ١٢٠ حالة فقط!! لكن ما رأيكم فى شرعية هذا القرار شرعاً وقانوناً؟ وماذا سبببه على المدى الطويل؟! الإجابة معروفة للعلاء من علماء الشريعة وعلماء التاريخ وعلماء الاجتماع والقانون.

وكذلك قتال المسلمين لا يجوز لمجرد وجود بدع

وبعض الوهابية يقول: كيف ننفذ منهج الشيخ وبفضله - بعد فضل الله - كان هذا الوطن الإسلامى الكبير؟!.

نقول: هذا لاشك من المحاسن الكبرى، ولن ينساها له المخلصون من أتباعه، فربما لولا دعوته وقاتله لمسلمى - ونكرر لمسلمى - الجزيرة^(١) لما توحدوا من الخليج إلى البحر الأحمر، ومن جنوب الشام إلى اليمن، لكن (جمال النتيجة لا يعنى صحة المقدمات)، فالنتائج قد تكون جميلة مع بنائها على مقدمات ناقصة - وهذا يعرفه أهل المنطق وغيرهم -.

فلو قام أحد الخوارج وكون دولة فإن حسن النتيجة لا يعنى صحة المنطلقات.

ولنبين هذا بمثال أوضح فنقول: لو قام أحد الحكام

الفاحش، وإما كلاهما، إن فئة تنكر عليها الخوارج، الغلو فى التكفير لفئة مغالية حقاً، (فما أشد غلو من اتهمه الخوارج بالتكفير)!!.

(١) نعم لا نتابع ابن عبد الوهاب ولا علماء الوهابية على تكفير سكان الجزيرة المخالفين لهم، فالجميع مسلمون، وليسوا كفاراً ولا عبدة أصنام، لا من تأول فى حب النبى ﷺ والصالحين، ولا من تأول فى التكفير والدماء.

وخرافات، لأن القتال لا يجوز إلا بنص شرعى (ردة ظاهرة، أو قطع طريق أو بغى)، أما بلا نص فارتكابه أسوأ من تلك البدع والخرافات.

وابن عبد الوهاب ربما لو لم يقاتل المسلمين، واكتفى بمراسلة العلماء وحثهم على الدعوة إلى الله؛ ربما لو فعل هذا لجاءت النتيجة مخيبة لآماله، ولكن الفائدة ستعود على الأمة وهى تجنب التكفير وما ترتب عليه من ذلك الزمن إلى عصرنا هذا الذى يعتمد فيه المكفرون على فتاوى ابن عبد الوهاب وعلماء الوهابية فى تكفير المسلمين.

وإن كان سيد قطب قد بالغ الوهابية فى نقده لأنهم وجدوا فى كلامه ما يوحى بالتكفير ونحن نؤيدهم فى ذلك؛ فإن محمداً بن عبد الوهاب يوجد التكفير فى (صريح) كلامه لا متشابهه^(١)!

فجعلت الوهابية سيد قطب كبش فداء لأنه ليس له

(١) وإذا لم يكن قوله بأن شيوخه وشيوخهم لا يعرفون دين الإسلام مع تفضيلهم لدين عمرو بن لحي على دين الإسلام، وأن أكثر الناس فى عصره بنجد والحجاز على إنكار البعث؟.. إذا لم يكن هذا الكلام ونحوه من صريح التكفير فما ندرى ما هو التكفير إذن؟

أنصار عندهم ولابن عبد الوهاب أنصار! وهذا ليس من أخلاق طالب العلم الذى يقول الحق ولو على نفسه، ولا يحمل المسؤولية لغيره، ولا يتفق هذا أيضاً مع مروءات الرجال الذين يأبون أن يضحوا بالضعفاء حماية للأقوياء.

والخلاصة هنا: أن هذا الغلو فى التكفير يدعونا لنقد عبارات ابن عبد الوهاب، لأن الضرر فى كتبه وإن رآه البعض يسيراً فإنه فى الوقت نفسه خطير جداً، نظراً للهالة العظيمة الموجودة حول ابن عبد الوهاب، والمشكلة الكبرى أن فتاوى علماء الوهابية اليوم فى التكفير تخالف ابن عبد الوهاب تماماً، لكنهم يجبرون الناس على الإيمان بفتاوى ابن عبد الوهاب التى تحمل غلواً فى التكفير، والإيمان بفتاواهم التى كان يراها ابن عبد الوهاب (إرجائية إن لم يرها كفراً) والتى تتفق مع فتاوى خصوم ابن عبد الوهاب فى الرد على التكفير!! وهذا جمع بين المتناقضات^(١).

(١) نقصد أن فتاوى علماء الوهابية المعاصرين بعد أن اکتسوا بنار الإرهاب ترد على شبه التكفير بحجج خصوم ابن عبد الوهاب نفسها التى كانوا يردون بها على ابن عبد الوهاب، ومن أوضح ذلك مسألة الحاكمية.

ولو أن الوهابية قالوا: إن ابن عبد الوهاب اجتهد فى التكفير فأخطأ لزال كل هذا التناقض، ولم ينقص دين ولا دنيا ولا مكانة، فالدين - عندهم - لا يهتز لتخطئة أمثال سيدنا عمر والإمام على رضى الله عنهما، فكيف يهتز لتخطئة ابن تيمية أو ابن القيم أو محمد بن عبد الوهاب؟! .

وبيان أخطاء محمد بن عبد الوهاب فى هذا الجانب (جانب التكفير) مفيد وضرورى، لأن التيار السلفى عامة والمجتمع السعودى بشكل خاص علماءه وطلاب العلم فيه تربوا على فتاوى ابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة الوهابية الذين كانوا يميلون لتكفير المسلمين، ولا بد أن يتأثر كثير منهم بهذا الجانب، بل امتد التأثير إلى كثير من السنة فى الخارج، فتكونت جميع التنظيمات الإرهابية فى العالم باسم الإسلام، كالقاعدة وأخواتها.

ومن قرأ كتاب (الدرر السنية) عرف هذا تماماً، بل فى هذا الكتاب مجلدان كبيران بعنوان (الجهاد)، كلهما فى جهاد المسلمين، وليس فيه حرف واحد فى جهاد الكفار الأصليين من الصهاينة والصليبيين وعبدة الأوثان، مع أن بعض بلاد المسلمين كان فيها كفار أصليون محتلون..

وتبادل التكفير حصل بين علماء الوهابية أنفسهم عندما اختلف أولاد الأمير فيصل بن تركى (عبد الله وسعود)، فكان مع كل أمير علماء يكفرون الطائفة الأخرى.

فهذه (الفوضى التكفيرية) هى نتيجة طبيعية وحتمية من نتائج منهج محمد بن عبد الوهاب الذى توسع فى التكفير؛ حتى وجدت كل طائفة فى كلامه ما يؤيد وجهة نظرها.

بل حركة الإخوان فى نجد وحركة الحرم وأصحاب التفجير فى العليا والمحيا والحمرات والوشم.. إلخ، الذين يصممهم الوهابية بالتكفير، ليسوا غرباء على الثقافة المحلية بل لو قلنا إنهم نتيجة لمنهج ابن عبد الوهاب فى التكفير لما أبعدنا، ومن شاء فليراجع مصادر هؤلاء وسيعرف هذا تماماً^(١).

(١) مع عدم إغفالنا للسبب الخارجى من التسلط الأمريكى خاصة على المسلمين، ودعمهم للكيان الصهيونى سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، فهذا أدى إلى سخط المسلمين واستلهم التكفير لمن بقيت علاقاته مع الولايات المتحدة سليمة من حكام المسلمين، وكأن لم يسيئوا إلى المسلمين خاصة فى فلسطين والعراق وأفغانستان وقبل ذلك فى السودان والصومال، والبوسنة،

وكانت الأحجار والأخشاب في نفوس الكفار أعظم من الله بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ثم في كلام ابن عبد الوهاب تعميم عجيب عندما قال ص١٨: (الشرك هو فعلكم عند الأحجار والبنائيات التي على القبور وغيرها..) وذكر أنهم (يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى! ويدفع عنا ببركته..). أ. هـ..، ونحن نشك في وجود مثل هذه الصورة التي نقلها ابن عبد الوهاب، فهذا لا يوجد إلا في خيال ابن عبد الوهاب وأتباعه، أما طلب البركة من تربة قبور الصالحين ونحوها فهو إلى اليوم وليس كفراً، فضلاً عن الشرك الأكبر المخرج من الملة لكل أهل تلك الجهة، بل كان الذهبي وبعض العلماء يجوزه وكانوا يقولون: (قبر فلان ترياق مجرب) فهل هم كفار؟ وما زال بعض العوام يفعلون هذا في مناطق مختلفة ولكن هذا لا يعنى كفر الفاعل، فكيف بكفر كل الناس الموجودين في تلك الجهات بحجة أنهم لم ينكروا أو شكوا في كفر الفاعل أو لم يهاجروا من بلاد الكفر.. إلخ؟ فهذا أمر آخر مختلف

فلماذا يبقى المجتمع الإسلامى متحملاً نتائج هذا الخطأ الخطير، ولماذا كل المحاربة لمن رد خطأ مصلح أو عالم من العلماء - فى نظر أتباعه- أو قام بمراجعة فكرية صادقة لمنهجه؟!

الملحوظة التاسعة عشرة:

قول ابن عبد الوهاب ص١٨: (فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن..). أ. هـ.

نقول: عبادة الأصنام هي السجود لها والصلاة لها وطلب الحوائج منها مع الكفر بالنبوات.. وأما المسلم فلا يصلى لولى ولا نبي، ويقر بأركان الإسلام وأركان الإيمان، ويؤمن بالبعث والحساب والجنة والنار.. إلخ.

والشيشان، وكوسوفا، فالسبب الخارجى يشجع على معاداة الغرب كله وأمريكا خاصة، وإغفال نقد التكفير ومنابعه الأساسية يشجع على ظلم المسلمين لبعضهم وتفككهم وتنازعهم وتمزقهم النفسى والاجتماعى.

تماماً.

بل لاتخلو منطقة ولا دولة إلى اليوم من وجود أفراد يعتقدون بركة بعض القبور، أو يعتقدون فى السحرة والكهان اعتقادات باطلة أو كفرية، لكن هذا لايعنى تكفير الناس الذين لايفعلون هذا بحجة أن من شك فى كفر الكافر فهو كافر.. خاصة وأن هذا الجنس من الناس هم السواد الأعظم من المسلمين على مر العصور، مع أن ابن عبد الوهاب كان يكفر كل أهل المنطقة التى يوجد بها مثل هذه الممارسات، بحجة أن من لم ينكر فهو كالفاعل.

ويظهر من كلام ابن عبد الوهاب أنه إن علم بحادثة فى الحجاز أو عسير أو سدير عممها على أهل تلك الجهة كلها فيكفرهم ويقائلهم، فهو يعتبر وجود القبر الذى يتبرك به البعض كوجود الأصنام تماماً! وعلى هذا فديارهم ديار شرك وإن كانوا (يرفعون الأذان ويصلون ويصومون ويقيمون شعائر الدين ويذكرون الله)!. فهذه كلها عند ابن عبد الوهاب لا قيمة لها لأنها صادرة من مشركين! ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾!!

وهذا التوسع فى التكفير وتعميمه على الجهات غير

الخاضعة لابن عبد الوهاب حجة من يرى أن الحركة سياسية تخدم المصالح البريطانية والصهيونية بالدرجة الأولى؛ لأنه لايعقل عند هؤلاء أن يظن ابن عبد الوهاب أن يكون أهل الحجاز على إجازة الذبح لأصحاب القبور أو دعاء أصحابها من دون الله.. فهذا لن يكون، وهذه تواريخ الحجاز والحرمين، وتراجم علمائهم وأعيانهم، ليس فيهم من يقول هذا القول الذى نقله ابن عبد الوهاب، لا قبل ابن عبد الوهاب ولا فى عصره ولا بعده، فمن شك فى تاريخ نجد لن يشك فى تاريخ الحجاز.

بل إن ما نقله ابن عبد الوهاب عن الحجاز كان مخالفاً للحقيقة التاريخية التى تشهد لها كل المؤلفات التى صنفت عن الحجاز، نستدل بهذا على أن ما نقله الوهابية عن نجد كان مغايراً للحقيقة أيضاً، والعقائديون على مر التاريخ يبتسرون التاريخ ويحصرونه فى مسائل، ويقومون تفسيرهم للتاريخ والأحداث والخصومات والقتال على قراءة ناقصة للتاريخ، سواء فى الماضى أو فى تواريخ عصورهم، فالعقائديون من كل طائفة يلجئون لتحريف

الواقع التاريخي بما يخدم الأيدلوجية التي يدعون إليها^(١).
أما التبرك بالصالحين أو تربة روضاتهم فهذه قد تكون
عند كثير من العوام وعند بعض العلماء المتأولين ومنهم
علماء كبار يتفاخر الوهابية بسلفيتهم كالذهبي مثلاً.
فلو كان الذهبي معاصراً لابن عبد الوهاب هل نرى

وجوب قتله وتكفيره؟! خاصة وأنه كان يرى التبرك
بالصالحين وتربة روضاتهم؟!
إذا قلت: نعم؛ أطررتم وأصبحت خصومتكم مع غيرنا.
وإن قلت: لا؛ وافقتمونا بأن هذا الأمر لا يجوز فيه
التكفير ولا القتال، نعم في بعض الحالات يمكن التخطئة
والإنكار بلا تكفير ولا سيف.

الملحوظة العشرون:

قول ص ١٩: (ويصيحون علينا كما صاح إخوانهم
حيث قالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا الشيء
عجاب﴾ أهـ.

نقول: هذا يتضمن تكفير المخالفين له في الرأي الذين
لا تصح فيهم هذه التهمة أبداً، فليس هناك مسلم على وجه
الأرض يقول هذا القول، وليس هناك مسلم يقرأ هذه الآية
من كلام الكفار ثم يقول بمثل قولهم.

الملحوظة الحادية والعشرون:

ويقول ص ٢٠: (فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه

(١) ومن ذلك تفسيرهم لأسباب الفتنة بإرجاعها إلى شخصية أسطورية
الدور اسمها عبد الله بن سبأ (مع بطلان هذا بإجماع المؤرخين باستثناء
واضع هذه الأسطورة وهو سيف بن عمر)، وتفسير الحنابلة لنشوء الفرق
الإسلامية الكلامية كالمعتزلة بأن ذلك كان بسبب ترجمة كتب الفلسفة
اليونانية، (مع بطلان هذا وظهور المعتزلة قبل الترجمة التي كانت في عهد
المأمون)، ومن هذه ما ينقله الوهابية عن نجد والحجاز وغيرها من البلدان
الإسلامية بأنها عادت جاهلية تعبد الأصنام، وأن شركها فاق شرك كفار
قريش.. إلخ، فهذه التلويحات التاريخية يقولها العقائديون لأناس لا يعرفون
التاريخ فيصدقونهم بأن هذا هو الواقع ويتابعونهم في بقية الطريق، وقد
اعترف متأخروا الوهابية بأن نجداً لم تكن أرض شرك قبل الدعوة
الوهابية، وترجموا لعلماء نجد، وعلماء الحجاز وحكموا على أهل نجد
والحجاز بالإسلام، ويمكن مراجعة هذا في بداية كتاب الشيخ البسام (علماء
نجد خلال ثمانية قرون)، بل عنوان الكتاب كاف، فالوهابية لم تظهر إلا
قبل أقل من ثلاثة قرون، من منتصف القرن الثاني عشر الهجري.

لجوابها وهى أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلى ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟!.

فيجيب ابن عبد الوهاب على هذه الحجة قائلاً:
(الجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ فى شئ وكذبه فى شئ أنه كافر! لم يدخل الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجدد ببعضه! كمن أقر بالتوحيد وجدد وجوب الصلاة..- ثم ذكر صوراً من هذا)- وواصل قائلاً: (فإن كان الله قد صرح فى كتابه أن من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكر، زالت هذه الشبهة) أ.هـ.

نقول: كلام ابن عبد الوهاب هنا عجيب غريب جداً! فهناك فرق كبير جداً بين المنكر لشيء مما جاء به الرسول متممداً مستهيناً به منكرأ له مع اعتقاده أن النبى قد قاله،

المشركون فى وقتنا هذا (الاعتقاد) هو الشرك الذى أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين)أ.هـ.

نقول: وهذا تكفير صريح للمسلمين فى زمانه إلا من كان على منهجه لأنه لا يعرف كلمة (اعتقاد) ولا (كتب الاعتقاد) إلا الصفوة من علماء وطلبة علم ذلك الزمان، فإذا كان هؤلاء أشد شركاً من كفار قريش فكيف ببقية المسلمين؟!.

الملحوظة الثانية والعشرون:

ويقول ص ٢٢: (الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء).

نقول: هذا تكفير صريح.

الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض

الملحوظة الثالثة والعشرون:

يقول ص ٢٢، ٢٣: (اعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهى من أعظم شبههم، فأصغ بسمعك

ومن ترك بعض ما جاء به الرسول ﷺ متأولاً أو جاهلاً هذا أو ظاناً أنه منسوخ، أو مخصص أو مقيد.. إلخ.. هذا أمر.

الأمر الثاني: لم ينكر هؤلاء شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة كالأمثلة التي ضربها ابن عبد الوهاب من ترك الصلاة أو ترك الزكاة أو الحج، أو الإيمان ببعض القرآن والكفر ببعض.. إلخ.

الأمر الثالث: لو رجع ابن عبد الوهاب للكتب التي تناقش مسائل اختلاف العلماء، ولعل أشهرها عند الوهابية كتاب (رفع الملام) لابن تيمية لعرف عذر المخالفين، فقد لا يثبت عندهم أمر ما أو نهى ما، وعلى هذا فلا يجوز له والحالة هذه أن يقول: هم ينكرون ما جاء به الرسول ﷺ لأنهم متأولون وليسوا منكرين، وهناك فرق كبير بين الإنكار المبني على المكابرة وبين التأويل العارض من دليل وشبهة، أو تركهم العمل بدليل يرون ضعفه، فهذا لا يعنى أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض! أو آمنوا ببعض ما جاء به الرسول ﷺ ورفضوا بعضاً.

وكذلك لم يراع ابن عبد الوهاب الجهل، فالجهل بالشئ

يمنع من إطلاق الكفر على الجاهل.

وعلى منهج ابن عبد الوهاب يمكن للعلماء المختلفين أن يكفروا بعضهم بعضاً بدعوى كل عالم أن الآخر أنكر شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ! وأنه بهذا كمن كذب الرسول ﷺ جملة! وهكذا.. بينما الصواب غير ذلك فالطرف الآخر لا يقر لك بأنه ينكر شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، وإنما يقول لك: هذا لم يثبت عندي، أو يقول: إنما معناه كذا أو يعارضه كذا.. إلخ (١).

وكلام ابن عبد الوهاب السابق يدل على أنه لم يحرر مسألة (الأسماء والأحكام) تحريراً يحمى التطبيق، ولم يحرر الموانع (موانع التكفير) كالجهد والتأويل والاضطرار.. ولا يعترف إلا بالمكره، فعدم تحرير هذه المسائل والموانع لا ريب أنه يوقع المتكلم في التكفير بكل

(١) كإنكار ابن أبي ذئب على الإمام مالك في رد حديث (المتبايعان بالخيار) قال: يستتاب وإلا ضربت عنقه؟! بحجة أنه رد الحديث أو ترك شيئاً مما أتى به الرسول ﷺ، وهذا ضيق أفق من ابن أبي ذئب رحمه الله، لأن الإمام مالك لن يترك الحديث إلا لعله يراها أو نسخ أو نحوه.

سهولة^(١).

ثم قاعدته تتطبق على كل طائفة من طوائف المسلمين، وقد يرد على الوهابية مخالفوهم ويقولون: أول هؤلاء الكفار أنتم لا غيركم، فأنتم تكفرون ببعض الكتاب، كعصمة دم المسلم وعدم تكفيره، فأنتم عند هؤلاء تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض!! وهكذا.. ويستدلون على هذا بالواقع فيقولون: هذا التكفير والقتال منكم مازلنا نشاهد آثاره في هذه الأيام في السعودية وفي كثير من الأقطار العربية.

(١) يمكن مراجعة ما كتبه ابن باز والألباني في موضوع التكفير، التي طبعت بعد حرب تحرير الكويت، فقد انقلب المنهج السلفي ضد منهج ابن عبد الوهاب، ولا يعيب هذا الاعتدال الأخير إلا أمران: الأول: كونه جاء بعد حرب الخليج الثانية فكأنه استجابة للحكومات، والثاني: أنه اقتصر على بيان المنهج مع بقاء النشاء على كتب العقائد التكفيرية ودون مراجعة للمنهج السلفي عامة والوهابي خاصة ومنها بقيت شرعية التكفير في العالم الإسلامي.

مساواة المسلمين بالمرتدين

الملحوظة الرابعة والعشرون:

قوله ص ٢٤، ٢٥:- وكرر نحو هذا ص ٢٩- (هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ويصلون ويؤذنون. فإن قالوا: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهاداتتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمساً أو يوسف أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض!! أ.هـ.

نقول: هذا الكلام فيه عدة أوهام عجيبة:

الأول: بنو حنيفة ارتدوا مطلقاً وآمنوا برجل زعموا أنه نبي وتركوا أوامر النبي ﷺ لأوامره عامدين.

وهؤلاء يختلفون عن أناس لا يحبون الصالحين إلا لمحبة هؤلاء الصالحين للنبي ﷺ، أو هكذا يظنون، ولا يرفعون أحداً من الصالحين فوق رتبة النبي، ولا

الملحوظة الخامسة والعشرون:

يقول ص ٢٥ وكرر نحو هذا ص ٢٩: (ويقال أيضاً: الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار كلهم يدعون الإسلام. وهم من أصحاب على وتعلموا العلم من الصحابة. ولكن اعتقدوا في على مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما؟ فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم)؟!

نقول: الذين حرقهم أمير المؤمنين على عليه السلام - إن صح التحريق ابتداء - هم مرتدون لا يدعون الإسلام كما ذكر ابن عبد الوهاب، ولم يصح ما اشتهر في كتب العقائد من أنهم كانوا يؤلهون علياً، إنما صح في البخارى أنهم مرتدون أو زنادقة، (اللفظان وردا في البخارى)، وإن صحت الرواية التي فيها أنهم اعتقدوا في الإمام على الألوهية، فالحجة على ابن عبد الوهاب أعظم لأنهم بهذا لا يدعون الإسلام - كما ذكر ابن عبد الوهاب -، وإنما جعلوا الإمام علياً إلهاً وهذا كفر بإجماع المسلمين وبالنصوص الشرعية.

ثم نرى ابن عبد الوهاب اختار أنهم (اعتقدوا في على

يوصلونه لهذا فضلاً عن جعل أحد الصالحين في رتبة الله عزوجل، فهذا لم يقل به هؤلاء الناس مطلقاً ولم يقل به مسلم عاقل على مر التاريخ.

وابن عبد الوهاب يلزم بأشياء لا تلزم، وعلى منهجه يمكن تكفير من بحث عن رزقه عند فلان، أو حلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو حلف بالكعبة، أو غلا في أحد من الصالحين أو غيرهم وهذا خطأ بلا شك.

بل يمكن على هذا المنهج أن نكفر المغالين في ابن عبد الوهاب الذين لا يخطئونه ولا يقبلون نقده؛ الذين يحتجون بأنه أعلم بالشرع وقد يردون حديثاً صحيحاً أو آية كريمة..

وعلى هذا تأتى وتقول: هؤلاء رفعوا مقام ابن عبد الوهاب إلى مقام النبوة أو الربوبية، وعلى هذا فهم كفار مشركون.. إلخ.

فهذا منهج خاطئ والمسائل العلمية لا تؤخذ بهذا التخاصم، بل لها طرق معروفة عند المنصفين من عقلاء المسلمين.

وكانت المخالفات يومها فى كل مكان فى دولة الأيوبيين، والفاطميين، وفى دولة بنى العباس فى العراق.. إلخ، كان الوضع فى العالم الإسلامى يومها يشبه وضع العالم الإسلامى فى عهد ابن عبد الوهاب تماماً!.

وجاء صلاح الدين مدداً للفاطميين من آل زنكى ثم استولى، ولا بد أن يستخدم الفاطميون والأيوبيون الدين سلاحاً فى المعركة كما يفعل حكام العرب اليوم فالأمر ليس فيه غرابة، لا بد أن تظهر كل دولة أن حربها للأخرين دينية وليست سياسية حتى تستجيش معها الغوغاء، وقد بدأ استخدام الدين لخدمة السياسة من أيام الدولة الأموية، من عهد معاوية تحديداً.

أما الفاطميون أو العبيديون - لاتهمنا التسمية - فلن يعدموا مدافعين عنهم وناشرين لفضائلهم.

الملاحظة السابعة والعشرون:

وقوله ص ٢٧: عن (باب حكم المرتد) فى كتب العلماء بأنهم ذكروا فى ذلك أنواعاً كثيرة (كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة

مثل اعتقاد الناس فى شمسان..!! وهذا لم يرد مطلقاً بمعنى لم يرد فى روايات الذين قيل إن الإمام علياً حرقهم أنهم (يغلون فيه فقط ذلك الغلو المقترن بالإقرار بأركان الإسلام)!! وإنما تركوا الإسلام كله، فهل يريد ابن عبد الوهاب أن يوهمنا أن هؤلاء الذين قتلهم الإمام على كرم الله وجهه كهؤلاء الصوفية والعلماء - من الحنابلة ومن غيرهم - الذين يتوسلون بالصالحين؟!.

تسييس الدين

الملاحظة السادسة والعشرون:

أيضاً قوله ص ٢٦ عن الفاطميين: (بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمان بنى العباس.. فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استتقدوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين) أهـ.

نقول: وهذا أيضاً غير صحيح، فالحرب بين الأيوبيين والفاطميين حرب سياسية بحتة لا دخل للدين بها.

عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قبله أو يذكرها على وجه المزاح..) أ هـ.

نقول: ليس كل ما ذكره هؤلاء يكون صحيحاً.. هذا أمر، فقد ذكروا أشياء كثيرة بعضها ردة بالإجماع، وبعضها مختلف فيه، وبعضها ليس ردة عند الأكثر، ولم يتفقوا في ذكر تلك المسائل، كما أن المسائل التي ذكروها تختلف بحسب المسألة، وبحسب القائل من جهل أو تأويل أو إكراه أو اضطرار.. إلخ.

الأمر الثاني: أن العلماء في عهد ابن عبد الوهاب يعرفون الأبواب الفقهية التي فيها حكم المرتد، ويدرسونها ويدرسونها، في الحرمين والحجاز، وأشيقر وشقراء والرياض، والشام واليمن ومصر والعراق،.. إلخ، ولم يفتوا بهذه الاستباحة الجماعية للدماء والأموال؛ الذي يفتى به ابن عبد الوهاب هنا، وإنما يتم الحكم على الشخص بمفرده بعد قيام الحجة عليه.

الأمر الثالث: أن الفقهاء عندما يحتجون على ابن عبد الوهاب بشئ مما ذكره الفقهاء في كتبهم يسارع إلى اتهامهم باتخاذ هؤلاء الفقهاء أرباباً من دون الله، وأن هذا

عين الشرك!!

أما ابن عبد الوهاب فإن احتاج لتلك الكتب نقل منها ما يراه يشهد لقوله - مع أنه ليس فيها هذا - وإن احتج بها المخالفون له فاجأهم بقوله: أنها (عين الشرك - كما سبق وكما سيأتي-) وأنهم (اتخذوا العلماء أرباباً من دون الله!) ثم لا يكتفى بالحكم على مرتكب ما يراه مكفراً وإنما إن علم عدة حالات معدودة في منطقة ما، ألزم أهلها كلهم الردة واستحل دماءهم وأموالهم، بحجة أن تلك المنطقة بين ساكت ومرتد! فالمرتكب مرتد والساكت مرتد! وهذا يختلف تماماً عما ذكره الفقهاء تحت باب (حكم المرتد)، فإنهم لا يحكمون على المجموع بفعل البعض، ولا يتوسعون في حكم الردة كما يتوسع، ولا يقولون بالردة إلا في أمور واضحة في الغالب، ولا يقسمون بلاد المسلمين إلى بلاد شرك وبلاد إسلام، نعم بعض الفقهاء فيه غلو ولا تخلو من الأخطاء في كل الأبواب، ولكن هذه الكتب الفقهية فيها الاعتدال أكثر من مواطن الزلل، بعكس كتب العقائد، ويجب أن تراجع الكتب كلها عقديّة وفقهيّة وحديثيّة، وأن تستمر عملية المراجعة والتنقيح والتخطئة

والتصويب، فالعلم لا يقف عند مرحلة معينة.

فالحكم على القول أو الفعل بأنه ردة لا يعنى الحكم على صاحب الفعل لاحتمال الجهل أو التأويل. فكيف بالحكم على منطقة كاملة فضلاً عن معظم العالم الإسلامى بفعل أفراد جهلة أو متأولين.

الملحوظة الثامنة والعشرون:

ثم يقول ابن عبد الوهاب ص ٢٧: (الذين قال الله فيهم: ﴿يحلّفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة، مع كونهم فى زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون؟! أ.هـ.

نقول: أولاً: هؤلاء منافقون.

ثانياً: لم يستحل النبي ﷺ دماءهم ولا أموالهم ولم يقتلهم بل نهى عن ذلك؛ فهذا يخالف فعل ابن عبد الوهاب مع من حكم عليهم بالردة من المسلمين لا من المنافقين.

الملحوظة التاسعة والعشرون:

أيضاً قوله ص ٢٧: (وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أِبَلِلَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦).

يقول ابن عبد الوهاب: (فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم كانوا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح! فتأمل هذه الشبهة وهى قولهم: تكفرون المسلمين، تكفرون أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما فى هذه الأوراق) أ.هـ.

نقول:

أولاً: هم زعموا أنهم قالوها على سبيل المزح (إنما كنا نخوض ونلعب) لكن الواقع غير ذلك، وأنهم يستهزئون بالله وملائكته وكتبه ورسله - كما جاء فى أصدق مصدر تاريخى - ومن الرسل سيدنا محمد ﷺ، وحتى لو اقتصر استهزاؤهم على الاستهزاء بالنبي فقط فالاستهزاء به ﷺ استهزاء بالشرعية نفسها فهذا كفر وردة.

ثم فى القصة دلالة على أن المجتمع لا يخلو من أناس يعتقدون الاعتقادات الباطلة، فهذا مجتمع النبى ﷺ وفيه من يعتقد مثل هذا كاللقاء.. فهذا يدعو للرحمة بالناس وإرشادهم ولم يكفرهم النبى ﷺ لجهلهم.

إنكار الاستغاثة

الملحوظة الحادية والثلاثون:

قول ابن عبد الوهاب ص ٣١، ٣٢: (الاستغاثة بال مخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى فى قصة موسى: ﴿فاستغاثة الذى من شيعته على الذى من عدوه﴾ وكما يستغيث الإنسان بأصحابه فى الحرب أو غيره فى أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء، أو فى غيبتهم، فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك: فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله.. وهذا جائز فى الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتى عند رجل صالح حى يجالسك ويسمع كلامك تقول له: أدع الله كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك فى حياته،

ثانياً: ثم لماذا يصدقهم ابن عبد الوهاب هنا؟! لماذا يصدقهم عندما زعموا أنهم إنما فعلوا ذلك على سبيل المزح؟! سبحان الله!! يكذبهم عز وجل فى كتاب الكريم ويسميه مستهزئين بالله وبآياته وبرسوله، ورسول الله ﷺ يكذبهم فى ذلك، ولا يقبل عذرهم؛ لأنه جاءه الخير من الله بأنهم كاذبون فى اعتذارهم بالمزح واللعب.. ثم يأتى ابن عبد الوهاب فيقبل قولهم الذى كذبهم الله فيه ورسوله، ويقر بأنهم قالوا على سبيل المزح! واستدل بهذا أن الاستهزاء مزحاً يكفر صاحبه! فأصبح قولهم صادقاً عند ابن عبد الوهاب وأصبح كلام الله عز وجل ورسوله غير معتبر فى تكذيبهم، فأنظر كيف أصبح كذب المنافقين حجة فى تكفير المسلمين!.

الملحوظة الثانية والثلاثون:

قوله ص ٢٨: (وقول ناس من الصحابة: "اجعل لنا ذات أنواط..")!؟.

نقول: هؤلاء الذين قالوها ليسوا من أصحاب الصحبة الخاصة (الشرعية)؛ وإنما هم الطلقاء - الذين يدافع عنهم السلفيون - قالوها يوم حنين وكانوا حديثى عهد بكفر.

وأما بعد موته فحاشا وكلا..)أهـ.

نقول: فما رأيك فيمن تأول بأن الاستغاثة بالنبي ﷺ جائزة عند روضته الشريفة لأن النبي حى فى روضته؟! لا ريب أن من يرى هذا الرأى له جانب من تأويل، بل لهم فى ذلك حديث عثمان بن حنيف.

ثم قد يأتى آخر ويقول لابن عبد الوهاب: لماذا تجيز لهذا للرجل أن يذهب إلى رجل صالح ويطلب منه أن يدعو الله له؟ لماذا لا تأمره بدعاء الله مباشرة؟ أليس فى نصيحتك له تجويز مشابهة عمل الكفار فى اتخاذ هؤلاء واسطة بينهم وبين الله؟ ألم يقل الله: ﴿فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾!!؟

وهكذا يمكن لآخر من الخصوم أو غلاة الأتباع أن يضيق على ابن عبد الوهاب المخارج حتى يحكم عليه بالكفر مثلما ضيق هو على الآخرين حتى كفرهم.

نعم يستطيع آخر أن يلزم ابن عبد الوهاب فى كثير من أقواله ومنها القول السابق، بما ألزم به الآخرين فيقول له: النبى ﷺ له خصوصية، وقد أمر الله المنافقين أن يأتوا إليه ليستغفر لهم؛ لأن إتيانهم إليه دليل ظاهرى على

التوبة، لكن بأى دليل تدخل أنت (الرجل الصالح) فى هذه الخصوصية النبوية، وتجاوز أن يأتيه الرجل ويسأله أن يدعو له؟! هل شرع هذا الله فى كتابه؟ أو قاله رسوله؟ أو جاء عن أحد من أصحابه؟ أو فعله السلف الصالح! وأن هذا لو كان مشروعاً لنقل لنا لأنه مما تتوفر الدواعى على نقله.. إلخ، ثم لماذا تقيد طلب الدعاء من الرجل الصالح (أن تأتى الرجل حتى تجالسه ويسمع كلامك)؟! وما الفرق بين هذا وبين من يوصى أحدهم إلى فلان أن يدعو الله له؟!!

والحاصل هنا أنه بمنهج ابن عبد الوهاب يستطيع المخالف له المتعنت أن يلزمه الكفر، فإن اعتذر بأعذار جاز للآخر أن يعتذر بأعذار مماثلة.

ونحن فى هذا كله ندعو لإخلاص العبادة لله وترك الشبهات القادحة فى هذا الإخلاص، كما ندعو لترك الغلو فى التكفير.

الملحوظة الثانية والثلاثون:

ثم ختم ابن عبد الوهاب ص ٣٢ بمسألة (عظيمة)

وهى (أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلماً..!!). أهـ.

نقول: وهذا فيه تععيد لتكفير سائر المسلمين ممن لا يعرف الحقائق والإلزامات التي ذكرها ابن عبد الوهاب، وبهذا يستطيع أتباع ابن عبد الوهاب أن يختبروا الناس في عقائدهم وأعمالهم عند كل بلدة يدخلونها أو يكتتبونها؛ فإن وجدوا عندهم تحفظاً أو أخطاء استحلوا قتالهم؛ لأنهم (غير مسلمين)!!

بل إن ابن عبد الوهاب هنا أدخل الاختلال في العمل وعده من علامات الكفر! وعلى هذا يمكن بسهولة التكفير بالمعاصي؟! وبهذا وأمثاله اتهمه خصومه بأنه من الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي.

وموضوع الاختلال يختلف باختلاف المعصية لكن اختلال القلب لا يؤثر في الأحكام الدنيوية، فالرسول ﷺ حكم بإسلام المنافقين في الظاهر، مع اختلال قلوبهم الذي علمناه من الله، أما ابن عبد الوهاب فلا يكتفى بإظهار المسلم للإسلام ونطقه بالشهادتين، ولا يكتفى بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج.. إلخ، وقد صرح بأنه يقاتل أناساً

يصلون ويصومون ويحجون ويتصدقون ويشهدون الشهادتين!.

ثم ما هو اختلال العمل؟ هل الكبائر كشرب الخمر والسرقه وغيرها من اختلال العمل؟ هل فاعلها يخرج من الإسلام حسب ظاهر كلام ابن عبد الوهاب؟ وهل ينطبق ذلك على أمراء الوهابية وفضائهم تملأ صحف ومجلات العالم؟ إذن فلماذا ينكرون على الخوارج تكفير أهل المعاصي؟ ولماذا ينكرون على المعتزلة والزيدية القول بخلود أهل الكبائر في النار والمنزلة بين المنزلتين؟! ولماذا ينكرون على الآخرين اتهامهم بالتوسع في التكفير والتععيد له؟!.

الملاحظة الثالثة والثلاثون:

وقال ابن عبد الوهاب ص ٣٤: لم يستثن من الكفر (إلا المكره).

نقول: وهذا القصر فيه نظر، فإن المضطر والخائف والمتأول والجاهل لا يجوز تكفيرهم، وهذا يدل على أن ابن عبد الوهاب لا يعول كثيراً على مسألة الأسماء

الخاتمة

انتهت أبرز الملحوظات على كتاب كشف الشبهات، وهي ملحوظات رئيسة- بعضها أوضح من بعض- على رسالة صغيرة مشهورة وهي من أقوى ما كتبه ابن عبد الوهاب، ومن أكثر ما يتفاخر به أتباعه من إنتاجه، وقد تبين منها أن ابن عبد الوهاب غلا في التكفير غلواً ظاهراً، فنقول خطأ وكفى، مجتبيين الغلو من خصومه وأتباعه، لأنه شرعاً لا يجوز أن نحمل ابن عبد الوهاب محملين أخطاءه الإسلام، فنزعم أن هذا التكفير قد دلت عليه النصوص الشرعية، وأنه دين الله، .. إلخ، فهذه الطريقة في تبرئة ابن عبد الوهاب وتحميل الإسلام أخطاءه فيها خيانة للدين نفسه، يجب أن يبقى الدين فوق مستوى أن نربط مصيره بمصير من نحب من العلماء أو الحكام أو غيرهم، الدين ليس حكراً على أحد، وليس هناك قراءة واحدة، ولا اتفاق على كل النصوص تصحيحاً أو فهماً، لكن من تسمى بالإسلام ولو منافقاً كاذباً، حرم دمه وماله وعرضه، وحفظت حقوقه، فكيف بمن ينتسب للإسلام صادقاً مقيماً للشعائر، مجتنباً الكبائر، ثم بعد هذا

والأحكام، فقد أهمل أبرز موانع التكفير، كالتأويل والجهل.

أما احتجابه بأن الله لم يستثن إلا المكره في قوله تعالى: ﴿إِلا من أكره﴾ فهذا نعم في هذه الآية أما في غيرها من الآيات والأحاديث الصحيحة فهناك معذورون آخرون غير المكره.

وهذه من عيوب منهج ابن عبد الوهاب فهو يعتمد على آية واحدة أو حديث واحد ويترك ما سواه فهذا خلل علمي، فقد يأتي آخر ويقول: لم يجرم الله عز وجل إلا أربع محرمات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ (النحل: ١١٥).

فيقول: وعلى هذا فليس هناك أمور أخرى محرمة كالخمر والسرقه والزنا!! هكذا قد يقول.. وينسى أن الله حرم الخمر والسرقه والزنا وغيرها في نصوص أخرى، وأن الآية السابقة خاصة بالأطعمة.

تلحقه الوهابية بالكفار نتيجة فهم دليل أو تليفق حجة، فهذا أمر خطير، له ثماره ونتائجه السيئة، وهذه التفهقات التكفيرية يجب أن يكون الموقف منها واضحاً فى حال وزمان، فلا نغزلها اليوم لطمع ونكثها غداً لفرع، ولنتق الله فإننا إن جاملنا فى إقرارها ذهب ديننا سدى، وإن أكلنا بها اليوم أكلنا غداً، نقول هذا نصيحة وسداداً، ما أردنا بهذا علواً فى الأرض ولا فساداً، والله المطلع على النيات.

تحرير محل الخلاف:

ونقطة هامة: أن معظم الخلاف بين ابن عبد الوهاب ومخالفه يكمن فى تركيزه على النظرية وتركيزهم على النتائج.

وخصوم ابن عبد الوهاب ليسوا من العوام بل هم خاصة أهل ذلك الزمان باعتراف ابن عبد الوهاب [الدرر السنينة (٦٢/٢)].

فخصوم ابن عبد الوهاب مثلاً يتهمونه بأنه ينكر الشفاعة ويرد عليهم بأنه لا ينكر الشفاعة، لكنه فى الوقت

نفسه يحصر الشفاعة لأتباعه الذين يسميهم (الموحدين)! ويصرح بأن الشفاعة ليس إلا للمسلمين - يعنى من كان على رأيه-.

فهم أخطأوا فى اتهامه بإنكار الشفاعة مطلقاً، وهو أخطأ بحصرها فى أتباعه، فهم ينظرون للنتيجة وهو يقيمهم فى المقدمات.

وكذلك يقولون: أنت تكفر المسلمين وهو يقسم أنه لا يكفر المسلمين ولا يكفر إلا من كفره الله ورسوله! وسر المسألة أنهم يرون النتيجة من تكفيره لهم ولأتباعهم، لكنه يعتمد على المقدمة بأنهم ليسوا مسلمين أصلاً! فالمسلمون الذين لا يكفرهم هم الموحدون وهذه التسمية الأخيرة لا يسلمون له بها^(١).

(١) انظر على سبيل المثال قوله- فى الدرر السنينة (٦٣/١)- مدافعاً عن نفسه من تهمة تكفير المسلمين قال: فإن قال قائلهم- يقصد معارضى ابن عبد الوهاب-: إنهم يكفرون بالعموم! فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم. لكن ابن عبد الوهاب يكمل بما يؤكد التهمة بقوله: الذى كفر الذى يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله وأن دعوة غير الله باطلة ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد ويسميهم الخوارج! نقول: إذن فالإتفاق يكاد يكون لفظياً فقط،

يحرروا موقع الخلاف.
والى ملحوظات جديدة على كتاب جديد من كتب
الوهابية.. فى لقاء قادم.

وهكذا معظم ما يدندن حوله ابن عبد الوهاب
وخصومه أن كل طرف متمسك بجانب، فهو يتمسك
بالمقدمة وهم يعترضون على النتائج، فذلك لم يحدث
تفاهم ولا تحرير موطن الخلاف.

وهذا يشبه ما جرى بين السنة والشيعة من اتهام السنة
لبعض الشيعة بتكفير الصحابة، والشيعة يقولون نحن لا
نكفر الصحابة، فإذا نقلت لهم من كتبهم ما يدل على ذلك
قالوا: هؤلاء ليسوا من الصحابة هؤلاء مرتدون!! والمرتب
ليس صحابيا على منهجنا ومنهجم!! فأنتم تشترون فى
الصحابى بأنه (يموت على الإسلام) وهؤلاء ماتوا على
غير الإسلام فهم خارج النزاع! وعلى هذا فلا تصح
تهمكم لنا..

وهكذا يدور المتخاصمون فى حلقة مفرغة لأنهم لم

فتكفير ابن عبد الوهاب للخصوم والمعارضين بسبب تسميتهم للوهابية
خارج لا يجوز، بل لو قام الخصم بتكفيرنا لا يجوز لنا تكفيره، وهذا
منهج الصحابة أنهم لا يكفرون من كفرهم، فالخوارج كفروا الإمام علياً
كرم الله وجهه، ووصفهم بقوله: (إخوان لنا طلبوا الحق فضلوا)، وقد قرر
ابن عبد الوهاب هذا فى مكان آخر فيعد هذا من التناقضات.